

الصراع بين بنى زيرى والفاطميين وأساببه الاقتصادية

الدكتور/ عودة حسان عواد أبو شيخة*

ملخص

سبر المعز الفاطمى غور بلكين بن زيرى قبل أن يوليه أمر إفريقية، وقبل قيام دولة بنى زيرى بها، وفطن إلى أن بنى زيرى سيعملون حتما على الاستقلال بإفريقية عن سلطة الفاطميين، وبذلك يخسرون خراجها، علاوة على فقدان الطريق المؤدية إلى ذهب السودان، ومن ثم أقام الفاطميون العراقيين أمام انفراد بنى زيرى بالسلطة، فولوا على خراج إفريقية ولاية من قبلهم لا يخضعون للأمير الزيرى، وأبقوا إقليم طرابلس والمدينة تحت سلطانهم. وكان بنو زيرى فى حاجة إلى صفة المشروعية لحكم إفريقية أول قيام دولتهم، لذلك دار الصراع خفيا بين الطرفين، وتمثل هذا الصراع فى إبعاد بلكين للولاية المؤيدين للخليفة الفاطمى، ثم حصل على حكم طرابلس لسلطانه، وتم له ما أراد. وظهرت نغمة الاستقلال فى أقوال أمراء بنى زيرى بعد ذلك؛ فعمل الفاطميون على إقلاق راحتهم فكانت حركة أبى الفهم، وتقلب قبيلة كتامة عليهم، ولكنهم فشلوا فى تحقيق المبتغى. حينذاك عمل الفاطميون على استرداد طرابلس بدون مواجهة سافرة مع بنى زيرى، واستمر الصراع حولها لأكثر من أربعة عقود. ثم تحول الصراع من الخفاء إلى العلن حين خلع المعز بن باديس طاعة الفاطميين، ورد الفاطميون عليه بإرسال قبائل هلال وسليم لغزو إفريقية، وهو مما أضعف دولة بنى زيرى، وقلص رقعتها، وأدى فى النهاية إلى سقوطها.

* مدرس التاريخ الإسلامى - كلية التربية - جامعة عين شمس.

The Conflict Between The Zirids and the Fatimids: The Economical Basis

Abstract

The Fatimid Caliphate El-Mu'zz chose Bulkkin Ibn Ziri to be the prince and viceroy of Ifriqiya and the founder of Zirids dynasty. The Fatimid Caliphate was afraid that the Zirids took full authority upon Ifriqiya and deprived him of its wealth in addition to the gold came from the Sudan. Thus, he made obstacles to prevent them achieving their desire. The Zirids did not want to revolt frankly against the Fatimids because they needed the Fatimids to cover their authority i.e. to make it legal. As a result, the conflict broke out but in hidden ways. That is, both of them tried to achieve his targets without revealing his intention. Bulkkin began this type of conflict when he devised a plan to dismiss the governors who were loyal to the Fatimids and had some authority upon Ifriqiya. Later, he spread his authority upon Tripoli the city and Ole region. His successor spoke openly about independence. Therefore, the Fatimids tried hard to make him feel sorry and give up this idea. They stirred Kotama tribe against him and sent About El-Fahm to lead the revolt. This trial came to an end without fulfilling the Fatimid goal. Thus the Fatimid tried to take Tripoli the city and the region away from the Zirids. The dispute between them continued for more than four decades. However, neither of them implemented his aim. At last the dispute became open when El-Mu'zz Ibn Badis took off the Fatimid's authority. The Fatimid also sent the tribes of Hilal and Salim to conquer Ifriqiya.

الصراع بين بنى زيرى والفاطميين

وأسبابه الاقتصادية

قامت دولة بنى زيرى بإفريقية والمغرب بعد أن نجح الفاطميون فى فتح مصر وتأسيس مدينة القاهرة بها؛ لتكون عاصمة لهم. وكان الفاطميون قد وطدوا سلطانهم فى مصر قبل أن ينتقل الخليفة المعز لدين الله من إفريقية، وعندما عزم على الرحيل إلى مصر اختار بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى ليكون نائبا عنه فى حكم إفريقية والمغرب وتابعا له، وقلده ذلك رسميا يوم الأربعاء لتسع بقين من ذى الحجة سنة ٣٦١هـ / ٢ أكتوبر سنة ٩٧٢م^(١). وخشى المعز أن يستقل بلكين بن زيرى بإفريقية والمغرب عن سلطان الفاطميين بعد مسيره إلى مصر^(٢)؛ فأعد للأمر عدته؛ بأن فوض إلى بلكين أمور بلاد إفريقية والمغرب فيما عدا صقلية وطرابلس وأعمالها^(٣)؛ وذلك للأهمية إقليم طرابلس ومدينته الاستراتيجية والعسكرية؛ إذا ما حاول بلكين أو أحد حلفائه على حكم إفريقية والمغرب الاستقلال بهما عن طاعة الفاطميين، وحتمية اللجوء إلى رده عسكرى، وكذلك أهميته الاقتصادية والتجارية بصفة خاصة، كونها أحد المعابر إلى بلاد السودان حيث الذهب والرقيق، والأهمية فى حركة التجارة البرية بين بلاد المغرب والأندلس وبين مصر والمشرق الإسلامى، وأهمية الميناء فى حركة التجارة البحرية فى حوض البحر المتوسط^(٤)، لهذه الأهمية اختار المعز الفاطمى لولاية إقليم طرابلس عبد الله بن يخلف الكتامى^(٥) أحد خلصائه، وصاحب المكانة الأثيرة لديه، الذى يتمتع ببقته، وأحد زعماء قبيلة كتامة التى قامت الخلافة الفاطمية على اكتافها، وعول عليها المعز فى أن تحول دون هيمنة بنى زيرى على إفريقية والاستقلال بها^(٦)؛ على أن يكون تابعا للخليفة الفاطمى فى مصر. وزيادة فى الحيلة لم يجعل المعز الفاطمى لبلكين بن زيرى حرية التصرف فى أموال إفريقية وأمورها، فجعل على جبايتها، والنظر فى سائر كورها، أحد خاصته زياد بن القديم، وأوصى بلكين ابن زيرى أن يستشير فى الأمور^(٧). وولى على الخراب عبد الجبار الخراسانى وحسين بن خلف المرصدى^(٨).

تحققت مخاوف المعز، وبدأ بنو زيرى العمل على الاستقلال بإفريقية فى الخفاء بعيد خروج المعز الفاطمى إلى مصر؛ إذ عمل بلكين بن زيرى على التخلص من القيود التى طوق بها المعز الفاطمى عنقه، فبدأ الصراع خفيا بين بنى زيرى والفاطميين، بدأه بلكين بالتخلص من زياد الله بن القديم الذى يحد من حريته فى التصرف فى جباية إفريقية وأموالها، وإبداله بمن يدين له بالطاعة والولاء، وكانت خطوته الثانية ضم طرابلس إلى سلطانه، وتحقق له ذلك بعد وفاة المعز لدين الله الفاطمى فى ربيع الأول سنة ٣٦٥هـ / يناير ٩٧٦م، وولاية ابنه العزيز خلفا له؛ إذ طلب بلكين من العزيز أن يضم إليه طرابلس، وألح فى الطلب، وشفع

مطلبه بأن أرسل أموالا كثيرة من جباية إفريقية إليه. ويبدو أن العزيز بالله نزار لم يكن في حنكة أبيه السياسية، فانعم على بلكين وعهد له ولاية طرابلس وسرت وإجداية سنة ٣٦٧هـ/٩٧٩م. أسرع بلكين بعزل والي طرابلس الفاطمي عبد الله بن يخلف الكتامي، وولى عليها من قبله أبا الفتوح، واختار أحد خالصائه ليوليه عليها وهو تموصلة بن بكار^(١١)، الذي ظل واليا على طرابلس أكثر من عشرين عاما؛ أي حتى سنة ٣٩٠هـ/١٠٠٠م^(١٢). ومنذ أن ضم بلكين طرابلس، وولى عليها من قبله "عظم أمره، وأمن ناحية العزيز، واستبد بالملك، وكان يظهر الطاعة مجاملة ومراقبة لا طائل وراءها"^(١٣). توفي بلكين بن زيري في آخر سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م، وخلفه على إمرة إفريقية والمغرب ابنه المنصور^(١٤)، الذي بدأ حكمه وطرابلس في حوزته، وعاصمة الخلافة الفاطمية في القاهرة بعيدة عنه، ووطد له أبوه بلكين حكم البلاد بالتخلص من العمال الذين عينهم الفاطميون، ودانوا بالولاء لهم، وبذلك خلصت له جباية البلاد وخراجها. ومن ثم بدأ حكمه بأن أسمع الفاطميين قدرته على الاستقلال عنهم؛ فما أن جاءه وفد لتهنئته من القضاة والأمناء وزعماء القبائل وشيوخ القيروان^(١٥) وأصحاب الخراج^(١٦)، حتى اتخذ من الأبهة ما أذهب عقولهم، وجلس في زى الملوك، وأوقف حوله الصقالبة والأجناد، وأعلن عليهم - ليبلغ الشاهد الغائب - أن حكمه لإفريقية والمغرب ورثه عن أسرته التي توارثته كابرا عن كابر حتى وصل بأجداده إلى حمير، وأنه لا فضل لأحد، ولا مشورة في تولية السلطة التي ورثها عن أبيه، كما أنه ليس في استطاعة أحد، قاصدا بذلك الخليفة الفاطمي، أن يعزله من السلطة وحكم بلاد إفريقية والمغرب، "ولست ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب"^(١٧)، وما لبث المنصور أن قرن الفعل بالقول، وأنه لا ياتمر بأمر من الخليفة الفاطمي، فأرسل عماله إلى بلاد كتامة سنة ٣٧٦هـ/٩٨٦م، وجبوا منها الأموال، على الرغم من أن الخليفة الفاطمي المعز منع ذلك^(١٨)، ومن ثم لم تكن عمال الأمير الصنهاجي تدخل إليها^(١٩).

بادل الفاطميون أمراء بني زيري العداء، ولكن في خفاء^(٢٠)؛ إذ لم يكن في مقدرتهم، ولا من حكمة السياسية، إعلان العداء، وجيوشهم في بلاد الشام والمشرق الإسلامي غايتهم، كما لم يكن في استطاعتهم التفريط في إفريقية وبلاد المغرب، بخاصة بعد أن ضاعت منهم طرابلس؛ لأنها معبر القوافل إلى بلاد السودان، حيث الذهب والرقيق، علاوة على ما تحصل الخزانة الفاطمية من ضرائب تفرضها على صنوف التجارة المارة ببلاد إفريقية وطرابلس^(٢١)، ومن ثم عمل الفاطميون على استمالة خالصاء بني زيري من عمالهم، بخاصة أصحاب المناصب الرفيعة والسلطة الواسعة في دولتهم، تمهيدا لإقلال راحتهم؛ بإثارة القلاقل في إفريقية بمعاونة القبائل الموالية للفاطميين والموتورة من بني زيري، وكذلك محاولة استعادة طرابلس منهم.

بدأ الصراع الخفى بين بنى زيرى والفاطميين بعيد انتقال الخليفة الفاطمى المعز لدين الله إلى مصر؛ إذ عمل بلكين على تحطيم الجدر التى أقامها المعز لدين الله للحد من سلطانه على إفريقية، وتحول دون استقلاله بالبلاد. استفتح بلكين ذلك بالتخلص من رجل الخلافة الفاطمية القوى، الذى جعلت فى يده أموال الجباية زيادة الله بن القديم الذى دان بالطاعة والولاء للمعز^(٢٢)، فقد كان كاتباً خاصاً للمعز الفاطمى قبل رحيله إلى مصر^(٢٣). واتت بلكين الفرصة عندما توفى عامل القيروان وصبرة جعفر بن يموت فى جمادى الآخرة سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٤م؛ فاختار بلكين والياً من قبله عرف بعداوته للفاطميين والمذهب الشيعى، وولائه لبنى زيرى؛ هو عبد الله بن محمد الكاتب التميمى؛ إذ كان ابناً لأحد أمراء الدولة الأغلبية، وهرب أبوه إلى منطقة نفزاوة حين قضى الفاطميون على دولة الأغلبية، وتربى عبد الله هناك، وهناك تعلم الكتابة والخط، وأجاد اللغتين العربية والبربرية، وبرع فى كتابة الرسائل والخطابة. عاد عبد الله إلى إفريقية فى شبابه؛ فاختار زيرى بن مناد الصنهاجى كاتباً فى ديوان الإنشاء، وعندما ولى بلكين بن زيرى إمرة إفريقية والمغرب أقره فى منصبه، ونال عبد الله بن محمد رضا حتى حظى عنده^(٢٤). يؤكد ثقة بلكين به ما قاله عندما اختاره لولاية القيروان: "كاتبى هذا أمرته بالرجوع إلى إفريقية؛ إذ لا ينوب عنى أحد غيره"^(٢٥). ولم يكن عبد الله شيعياً، وإنما دان بالمذهب الحنفى^(٢٦).

وصل عبد الله بن محمد الكاتب إلى القيروان، والتقى زيادة الله بن القديم، واتفقا أول الأمر، وصارت كلمتهما واحدة. غير أن ذلك الاتفاق لم يطل، وتكررت العلاقة بينهما، وبدأت المواجهة؛ "بأسباب المنافسة المؤدية إلى الحرب والفتنة"^(٢٧). اندلع الصراع بين أنصار كل منهما؛ وتعددت المعارك بين الطرفين، ولم تمدنا المصادر بتفاصيلها، وإنما أجملت القول فيها، "وكانت فتنة عظيمة بالقيروان يطول شرحها"، انتصر فيها عبد الله الكاتب، وقبض على زيادة الله بن القديم، الذى أودع السجن حتى مات بعد ولاية دامت سنتين وشهراً ونصفاً. بذلك يكون ألقى القبض على ابن القديم فى ربيع الأول سنة ٣٦٤هـ / نوفمبر ٩٧٤م^(٢٨)، وتكون المدة منذ تعيين عبد الله الكاتب، وإلقاء القبض على زيادة الله لا تتجاوز تسعة شهور، وهذا مما يفصح عن أن مهمة عبد الله كانت القضاء على ابن القديم، ويؤكد تواطؤ بلكين مع عبد الله، وأن الأمر كله تم برغبته، وبناء على أمره، أن بلكين كان بالمغرب الأوسط آنذاك، ولم يعد إلى إفريقية رغم خطورة هذا الصراع^(٢٩)، ولعله أراد أن يكون بعيداً عن هذا النزاع، حتى يظهر براءته منه، رغم أنه حقق مأربه بالتخلص من أحد أولياء الفاطميين، الذى كان بيده جباية إفريقية، التى تمثل ركناً من أركان اقتصاديات دولة بنى زيرى.

خسر الفاطميون رجلهم، ولم يقفوا مكتوفى الأيدي؛ فعملوا على استمالة عبد الله بن محمد الكاتب؛ الذى كان طموحاً، يعمل على تحقيق أغراضه؛ بأن يكون

رجل الدولة الفاطمية بديلا عن ابن القديم؛ فالتقت غايته بمطلب الفاطميين في إعداد صنعة لهم؛ له في دولة بنى زيرى من السلطة ما يحقق مرادهم، وذلك قبل الحاجة الملحة إليه في الاستظهار به أيام الصداقة للعداوة.

على أن المصادر لم تحدد الوقت الذى استمال فيه الخليفة الفاطمى عبد الله الكاتب، ولم تشر إلى استمالته إياه صراحة، بيد أن الأحداث تتم على طموح عبد الله الكاتب، وتؤكد أنه أصبح رجل الدولة الفاطمية في قلب دولة بنى زيرى؛ إذ يذكر ابن عذارى في أحداث سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٤م أن عبد الله بن محمد الكاتب اشترى العبيد من السودان، وألزم كل واحد من عماله وأصحاب الخراج ووجوه رجاله بأن يقدم له ثلاثين عبدا أو ما دون ذلك كلا حسب طاقته، فاجتمع له منهم آلاف، وأسكنهم المنصورية، وصنع بيتا من حديد وآخر من خشب، وملأهما بالأموال^(٣٠)، وتزلف للخليفة الفاطمى بأن أمد المنصور بأموال لإرسال هدية إلى الخليفة الفاطمى بلغت قيمتها مليون دينار في سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٥م^(٣١).

خطا عبد الله الكاتب في تزلفه للفاطميين خطوة كبيرة، حين تحول من المذهب الحنفى السنى إلى المذهب الشيعى، وتحمس لنشره فى إفريقية، وحمل علماء القيروان من أهل السنة على اعتناقه، وأجبر الشاعر ابن البقال على التحول إليه^(٣٢)، ليكون بوق دعاية للمذهب. أتى تزلف عبد الله الكاتب ثماره حين أرسل الخليفة الفاطمى نزارا إلى المنصور باختياره لعبد الله بن محمد الكاتب للقيام بمهمة الدعوة للمذهب الشيعى، وبأمره بتنفيذ القرار، وأن يفرش له قصر السلطان. امتثل المنصور للأمر، وجلس مع أهل بيته وأبناء عمومته وأقربائه وأخذ عبد الله الكاتب عليهم الدعوة^(٣٣)، وفى قول عبد الله الكاتب ما يؤكد التواطؤ مع الفاطميين؛ إذ قال: "الآن خلصت من القتل، وأمنت على شعرى وبشرى"^(٣٤)، ظنا منه أن يد المنصور لن تطوله بعد أن بات تابعا تبعية مباشرة للخليفة الفاطمى وتحت حمايته.

أعد الفاطميون عبد الله الكاتب ليكون عينا لهم على المنصور، وأداة في تنفيذ مآربهم، وإفلاق راحته. فما إن بدأت نغمة الاستقلال عن الفاطميين تعلو فى قول المنصور بعيد توليته سنة ٣٧٤هـ / ٩٨٤م، وأنه قرن الفعل بالقول سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٧م، حينما خالف أمر الخليفة الفاطمى، وأرسل عماله لجباية الأموال من قبيلة كتامة^(٣٥)، حتى رأى الخليفة الفاطمى ضرورة ردع تابعه على إفريقية بتأليب قبائل كتامة الموالية للفاطميين عليه من وراء ستار لإزعاجه وإضعاف قوته^(٣٦)، قبل أن يعلن استقلاله الكامل عن الخلافة الفاطمية. استعان الخليفة الفاطمى بصنيعته عبد الله الكاتب الذى أعده لهذا الأمر، كما سبقت الإشارة، وأرسل إلى إفريقية داعيا من قبله يدعى أبا الفهم حسن بن نصرويه الخراسانى، فى الوقت الذى اعتاد فيه عبد الله الكاتب ترك إفريقية والإقامة بالمهدية كل عام، وتولية ابنه يوسف نائبا على إفريقية عنه^(٣٧).

نزل أبو الفهم على يوسف بن عبد الله بإفريقية سنة ٣٧٦هـ / ٩٨٧م^(٣٨)، فأحسن منزله وأكرم مثواه، وأجرى عليه الأموال والأرزاق.

وقد طلب أبو الفهم الخروج إلى بلاد كتامة؛ ليحقق ما كلفه به الخليفة الفاطمي، وأرسله من أجله. كتب يوسف إلى أبيه يعلمه الخبر ويستشير به فيما يفعل. أمر عبد الله ابنه أن يعطى أبا الفهم ما يريد، ويتركه يذهب حيث شاء^(٣٩)، فأعطاه يوسف ما طلب من الأموال والخيول^(٤٠). جد أبو الفهم في تنفيذ أمر الخليفة الفاطمي؛ الذى أمره باستمالة كتامة؛ فإن نجح فى مسعاه؛ فسوف يرسل الخليفة الفاطمي جيشاً من قبله لمساندة كتامة فى قتال المنصور، والاستيلاء على إفريقية^(٤١). حقق أبو الفهم المراد، وكثر أتباعه، وجند الأجناد من كتامة، وعمل البنود، وضرب السكة، وعظم شأنه حتى شاع خبره^(٤٢). حينذاك عزم المنصور على محاربة أبى الفهم، وكتب إلى العزيز الفاطمي يخبره بالأمر^(٤٣).

وقد جاءت الأخبار إلى المنصور بتواطؤ عبد الله بن محمد الكاتب مع الخليفة الفاطمي ومعاضدته أبا الفهم خفية؛ فكان هذا من الأسباب التى حقدها المنصور على عبد الله وابنه^(٤٤)؛ إذ بلغ المنصور من أحد أقارب عبد الله أن الأخير راسل ابن كلس وزير الخليفة الفاطمي، وترددت السفراء بينهما، وعقد الغدر بالمنصور^(٤٥). تغير المنصور على عبد الله، وأحست بطانته وأهل بيته بما يعتمل فى نفس المنصور تجاه عبد الله، فزادوا فى الوشاية به، وطعنوا عليه أموراً كثيرة^(٤٦)، بخاصة أن عبد الله الكاتب بلغ مع المنصور ما لم يبلغه أحد من قرابته وأهل بيته ودولته، وانحصرت أموره كلها تحت قبضته، وأعطى السياسة والرئاسة حقها، لا يدارى أحداً من أولاد زيرى ولا أكابر الدولة^(٤٧)، حتى عرف بالمختال^(٤٨).

ولما أيقن المنصور بتواطؤ عبد الله الكاتب مع الخليفة الفاطمي، وأنه سبب تقاقم حركة الداعى أبى الفهم فى كتامة لأنه أخفى أمره، ثم صغر من شأنه حتى انتشرت دعوته وعظم شأنها^(٤٩)، استدعى المنصور عبد الله الكاتب، ودار بينهما كلام كثير لم يقف أحد على صحته، ثم قتلته مع ابنه يوسف يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ٣٧٧هـ / ٦ نوفمبر سنة ٩٨٧م^(٥٠). يؤكد ذلك ما ذهبت إليه الدراسة من تواطؤ عبد الله الكاتب مع الخليفة الفاطمي فى صراعه الخفى مع المنصور، وبجزم بحقيقة التواطؤ ما قاله المنصور لقاضى القيروان وشيوخها حين اجتمعوا به: "ما قتلنا عبد الله على مال ولا شيء اغتمته، وإنما خفته على نفسه؛ فقتلته"^(٥١).

تُجمع المصادر التى تناولت حركة أبى الفهم على أن العزيز بالله الفاطمي أرسل رسولين من قبله إلى المنصور، أحدهما من قبيلة كتامة ويدعى أبا العزم، والآخر من عبيد الخليفة الفاطمي، ويدعى محمد بن ميمون الوزان، ليبلغاه أن

العزیز ینہاء عن التعرض لأبی الفہم وکتامة، ثم یسیرا إلى کتامة بعد الفراغ من إبلاغ رسالته إلى المنصور، فأغلظ المنصور القول لهما وللعزیز، وأغلظا له القول، ومنعهما المنصور من مغادرة قصره والذهاب إلى کتامة^(٥٢).

لا مرأى فی أن ذلك عن الحقيقة بعيد؛ إذ لیس من المقبول أن یجهر الخلیفة الفاطمی بمساندته الثائرين علی بنی زیری، ویسفر بذلك عن عداوته لهم. یؤكد ذلك أن الخلیفة الفاطمی - بعد قضاء المنصور علی حركة أبی الفہم - أرسل إلى المنصور هدیه، ولم یذكر له أبی الفہم^(٥٣). والراجح أن الخلیفة الفاطمی أرسلهما لتجسس أخبار المنصور ومعرفة نیاته بعد أن عرف بتواطؤ عبد الله الكاتب معه. ویؤكد ذلك ما ذكره النویری من أن الرسولین كانا یحملان سجلات إلى المنصور^(٥٤)، وكان علی الرسولین الذهاب إلى کتامة بعد الفراغ من لقاء المنصور؛ لیلغا کتامة وأبى الفہم بما یجب علیهما فعله، استنادا إلى نتائج سبرهما غور المنصور ومعرفة نیاته، وما عرفاه من أخباره. یفصح عن ذلك أن المنصور منعهما من الخروج إلى کتامة، وأمرهما بالمقام عنده، حتی آتم إعداد جيشه لحرب أبی الفہم وکتامة، وأخذهما معه^(٥٥).

أما ما ذكرته هذه المصادر من أن المنصور أغلظ لهما القول وأغلظا له؛ فأغلب الظن أن ذلك دار بینهما بعد أن منعهما المنصور من الخروج إلى لقاء أبی الفہم وکتامة. وفيما قالاه ما یجزم بأن حركة أبی الفہم ومعاضدة قبائل کتامة له كانت عن أمر العزیز الفاطمی وتدبيره، وأنه كان یعد العدة للقضاء علی المنصور، واستبداله بمن یأمنه علی حکم إفريقية؛ إذ قال الرسولان له إن أبی الفہم وکتامة سوف یجرانه بحبل فی عنقه، حتی یأتیا به إلى العزیز بالله^(٥٦).

غادر المنصور مقر حکمه فی شوال سنة ٣٧٧هـ/ فبرایر ٩٨٨م، یقود جيشا أحسن إعداده، وزاد من عتاده، وکتم عنهم وجهته، فلم یتحج إلى محاربة قبيلة کتامة مباشرة، وإنما اتجه صوب میلة^(٥٧)، حتی لا تعلم کتامة وأبو الفہم وجهته، ویأخذهم علی غرة، ویفوت علیهم فرصة الاستعداد لملاقاته أو الاستغاثة بالخلیفة الفاطمی. وللسبب ذاته أبقی رسولا الخلیفة الفاطمی عنده رغما عنهما. استسلم أهل میلة عندما نزل جيش المنصور إلى مدینتهم، وتضرعوا إليه طالبین العفو والنزول علی حکمه؛ فهدم سور المدینة، وهدم دورها، وطردها أهلها، وأمرهم بالمسیر إلى مدینة باغایة^(٥٨).

وانطلق المنصور بجيشه إلى مضارب کتامة یدمر ویحرق ویقتل، "فلم یمر بقصیر ولا منزل إلا هدمه"^(٥٩)؛ یهدف إرهاب کتامة ورسولی العزیز الفاطمی، وإبلاغهم مصیر من تسول له نفسه بعصیانه.

وبلغ الجيش مدینة سطیف قصبه قبيلة کتامة وكرسى عزهم، فاقتتل الفریقان، ولم یكن فی قرة کتامة أن تصمد طویلا أمام جيش المنصور بعدده وعتاده.

ولحقت الهزيمة بكتامة، وفر أبو الفهم بنفسه نجيا إلى منطقة الجبال الوعرة، محتفيا بقبائل كتامة شديدة البداوة، لعلهم يمنعونه أو ينصرونه. وجاءت عيون المنصور بخبر أبى الفهم؛ فأرسل إلى الكتاميين يتوعدهم ويهددهم إذا ما منعوا أبى الفهم ولم يسلموه. وابت طبيعة البداوة الفجة تسليم الذى استجار بهم، وخشوا فى الوقت ذاته سطوة المنصور وقوة جيشه؛ فكتبوا إليه أن يقيهم عار تسليم المستجير، ويرسل من يأخذه، وأنهم غير مانعيه^(١٠).

أرسل المنصور فرقة من خاصته، قبضت على أبى الفهم، وأتت به إليه فى يوم الثلاثاء لثلاث خلون من صفر سنة ٣٧٨هـ/ ٢٣ مايو سنة ٩٨٨م^(١١)، فعذبه وقتله ومثل بجثته، ثم ألقى بها إلى عبيده، وأمرهم بتسريح لحمه وأكله، فلم يبق منه سوى العظام. وأمر كذلك بقتل جماعة من دعاة المذهب الشيعى، وآخرين من زعماء قبيلة كتامة. بذلك فل جمع كتامة، وأضعف شوكتهم، "وأنزل بها الذل والهوان"^(١٢).

كان كل ذلك على مشهد ومرأى من رسولى الخليفة الفاطمى حتى ينقلا الصورة إلى العزيز بالله. وقبل أن يعود المنصور إلى أشير عاصمة ملكه أراد أن يستوثق من إحكام قبضته على مضارب كتامة حتى لا تعاود الكرة، فولى عليها أحد خلصائه ومعه أبنائه، وكانت المنطقة قسمة بينهم؛ لإحكام سيطرتهم عليها، ومعرفة كل أخبارها قبل أن تجمع شملها ويستفحل أمرها.

عاد رسولا الخليفة الفاطمى إليه، وأبلغاه ما رأت عيناها^(١٣). وفطن العزيز بالله إلى رسالة المنصور، ولم يرد السفور فى العداوة، فأرسل إلى المنصور هدية ولم يشر بشيء إلى أبى الفهم، أو ما فعل المنصور بقبيلة كتامة^(١٤)، عصب الدولة الفاطمية.

وفشلت محاولة العزيز بالله الفاطمى فى إقلاق راحة المنصور أو ردعه بالقضاء على حركة أبى الفهم، وإضعاف قوة قبيلة كتامة بعد قتل كثير من رجالها، وتقليص اقتصاداتها، بإتقال كاهلها بالمغارم والضرائب الثقيلة^(١٥)، وتعيين عدد من الولاة على مضاربها؛ يساندتهم جيش قوى لإرهابها حتى لا تعيد الكرة.

وخلف الحاكم بأمر الله والده العزيز على دست الخلافة الفاطمية يوم الثلاثاء ١٠ رمضان سنة ٣٨٦هـ/ ٢٧ سبتمبر سنة ٩٩٦م^(١٦)؛ فاتبع سياسة سابقيه بالصراع الخفى مع بنى زيرى، وعمل على إصلاح الوضع الذى أخل به والده العزيز بالله، وذلك باستعادة طرابلس ثانية من أيدي الزيريين، لأهميتها الاستراتيجية فى إجبار الزيريين على مواصلة الطاعة للفاطميين، علاوة على أهميتها الاقتصادية والزراعية والرعية والتعدينية، ناهيك عن أهميتها التجارية بوصفها ميناء تجاريا مهما على حوض البحر المتوسط، وبداية لطريق تجارى مع بلاد السودان، حيث الذهب والرقيق وغيرهما من سلع العصور الوسطى النفيسة.

دار الصراع خفيا بين الفاطميين وبنى زيرى على مدينة طرابلس وأعمالها؛ فانتهاز أحد ولاة بنى زيرى على منطقة الزاب الصراع، ونفذ منه لاستقطاع هذا الإقليم، وأقام به إمارة وراثية له ولبنيه من بعده.

يتفق أغلب المؤرخين على أن الحاكم بأمر الله لم يخطط للأمر أو يعد له العدة، وإنما قدمها له واليها الزيرى تموصلة بن بكار؛ فتذكر هذه المصادر أن تموصلة راسل الحاكم بأمر الله برغبته فى تسليم طرابلس للفاطميين، واللجوء إلى القاهرة بدون استشارة الأمير الزيرى باديس بن المنصور أو إعلامه بالخبر. بيد أن الحاكم لم ينصت إليه أول الأمر؛ فواصل تموصلة إلحاحه، وتتابع رسله حاملة رسائله إلى الحاكم راجيا منه تحقيق رغبته؛ ونتيجة لإصرار تموصلة؛ أرسل الحاكم إلى يانس الصقلى واليه على برقة بقيادة ما معه من الجند إلى طرابلس ويتولى أمرها.

وصل يانس الصقلى إلى طرابلس بدون علم باديس أمير إفريقية؛ فسلمه تموصلة المدينة والولاية، وترك معه معظم ما كان معه من الجند، وخرج إلى مصر^(١٧). وهناك من يرى أن تموصلة بن بكار سلك هذا المسلك؛ لأنه عسف أهل طرابلس، وجمع الأموال منهم غصبا، ثم خشى عقاب باديس له؛ فهرب إلى مصر خوفا منه^(١٨)، ويرى آخرون أن طول المدة التى شغل فيها تموصلة منصب والى طرابلس - التى بلغت ثلاثة وعشرين عاما - أصابته بالملل، وأنه راسل الحاكم؛ لأنه انتوى اعتزال السلطة، وأن مخاطبته للحاكم بدون أن يعلم الأمير الصنهاجى نجمت عن إخلاصه للفاطميين، فضلا عن أن طرابلس لا تتبع إفريقية بصفة مطلقة؛ فليس باديس وولاته جميعا سوى أتباع للحاكم بأمر الله، وليس من حقهم البت فى أمر من الأمور بدون الرجوع إلى الخليفة الفاطمى صاحب السيادة عليهم جميعا^(١٩)، ويرى بعض ثالث أن طرابلس هى التى أعلنت الثورة والخروج على الطاعة؛ لتعصب برجوان وصى الحاكم بأمر الله ضد المغاربة، وإثارته الاضطرابات فى طرابلس^(٢٠)، ويرى فريق رابع من المحدثين أن إدارة الحكم فى مصر هى التى حرضت تموصلة على الخروج عن طاعة باديس، وتسليم طرابلس للقائد الفاطمى يانس الصقلى، وإن اختلفوا حول الشخصية التى حاكت هذا العمل؛ فنسبها بعضهم إلى الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله^(٢١)، وألصقها آخرون^(٢٢) ببرجوان الصقلى الذى ولى وزارة الحاكم سنة ٣٨٧هـ / ٩٩٧م، واستبد بالحكم من دونه^(٢٣).

وربما اعتقد هؤلاء فى ذلك استنادا إلى ما ذكره ابن خلدون من أن برجوان هو الذى أرسل الجيش إلى طرابلس^(٢٤)، وأنه اختار يانس الصقلى لقيادته رغبة من برجوان فى إبعاد يانس عن برقة^(٢٥).

والقول الحق ما ذهب إليه هذا الفريق من أن إدارة الحكم فى مصر هى التى استمالت تموصلة وحرصته بعد أن منته؛ ويؤيد ذلك أهمية طرابلس الاستراتيجية للفاطميين، إذا ما أرادوا استمرار تبعية بنى زيرى لهم، وهى السياسة التى اختطها المعز لدين الله، وأخل بها العزيز؛ فظهرت نغمة الاستقلال من أمراء بنى زيرى، واضطرته للصراع الخفى معهم، وسلك الحاكم السبيل نفسها، لتصحيح الوضع، واستعادة طرابلس، بخاصة أن باديس بن المنصور أعلن عن نية الاستقلال عن الفاطميين، وبلغ ذلك أسماع الحاكم بأمر الله^(٧٦)، وهذا مما نتج عنه سوء العلاقة بين الطرفين، وأخذ الحاكم يحيك المؤامرات لباديس^(٧٧).

صب الحاكم اهتمامه على طرابلس، ومن ثم راسل تموصلة وراوده على تسليم طرابلس، وحضه على ذلك بعد أن مناه، واتفقا وانتظرا سنوح الفرصة؛ بانشغال باديس؛ حتى لا يكون فى قدرته استعادة طرابلس بالقوة، بخاصة أن مقر حكمه والقوة الضاربة لجيشه قريبة من طرابلس.

وسنحت الفرصة حين قاد باديس جيشه إلى المغرب الأوسط فى سنة ٣٨٩هـ/ ٩٩٩م؛ لحرب زعيم مغراوة الذى استولى على بعض المدن ذات الأهمية الاستراتيجية^(٧٨)، كما هاجم مدينة أشير عاصمة صنهاجة^(٧٩)، وذات الأهمية الخاصة لبنى زيرى^(٨٠). وفى الوقت ذاته تمرد عمومة باديس عليه، واقتطعوا بعض النواحي، وخرج واليه على طبنة فلفل بن سعيد عن طاعته، وأغار على مدن إفريقية، وعاث فيها فسادا، وقطع طرق التجارة^(٨١). آنذاك طلب الحاكم بأمر الله من تموصلة تنفيذ ما اتفقا عليه، وأرسل قوة فاطمية بقيادة يانس الصقلي؛ لتسلم مقاليد طرابلس من تموصلة، والدفاع عنها إذا ما أقدم باديس على استعادتها بالقوة؛ فوصل الجيش إلى مدينة طرابلس سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٠م^(٨٢). يؤكد ما ذهبت إليه الدراسة المكافآت السخية التى أعقدتها الحاكم بأمر الله على تموصلة بعد أن سلم طرابلس، ووصل إلى مصر؛ إذ "خلع عليه، وقلده سيفاً، وحمله على عشرة أفراس بمراكبها، وقلده إمارة الشام"^(٨٣).

أشارت الدراسة إلى أن الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية لإقليم طرابلس هى التى تمحور حولها الصراع الخفى بين الفاطميين وبنى زيرى، ومن ثم وجب تفصيل هذه الأهمية. وتقصيها يحتم تحديد إقليم طرابلس الذى دارت حوله هذه الحلقة من حلقات الصراع الخفى بين الطرفين. وتتوه الدراسة بأنه لم تكن هناك حدود فاصلة ومحددة بين دول العصور الوسطى بعامة، ودول المغرب الإسلامى، بخاصة، ناهيك عن الأقاليم، وذلك لطبيعة معظم سكان المغرب وحياتهم التى غلبت عليها حياة الرعى، وما تتطلبه من ظعن وراء قطعان الأغنام والماشية أو انتجاع وراء الإبل والخيول. لذلك سوف تتبع الدراسة فى تحديد إقليم طرابلس ما ذكره الجغرافيون عن حدوده، وعن المدن الواقعة بداخله، لإظهار أهميته الاستراتيجية والاقتصادية إذا كان هناك ثمة أهمية.

ومعلوم أن إقليم طرابلس يقع بين إقليم برقة شرقا وإقليم إفريقية غربا، وتمثل منطقة تاورغا، وبالتحديد قصر أحمد أو قصر ميمون، الحد الشرقي لإقليم طرابلس^(٨٤)، وينتهي إقليم طرابلس غربا بنهاية منطقة قابس التي تعد مدينة وازن حدها الغربي^(٨٥)، ويحد الإقليم من الشمال البحر الأبيض المتوسط، ويمتد إقليم طرابلس جنوبا؛ ليضم مدينة زويلة الواقعة في واحة فزان^(٨٦).

ضم الإقليم عددا من المدن التي تفاوتت أهميتها ارتكانا على الزراعة أو الصناعة أو التجارة أو الموقع. ولا جدال في أن مدينة طرابلس - التي تعد عاصمة الإقليم - هي أهم هذه المدن^(٨٧)، ومدينة مسلاتة الواقعة جنوب شرق مدينة طرابلس كانت لها أهميتها الزراعية^(٨٨)، وفي الإقليم مدينة صبرة الواقعة على مسيرة يوم من طرابلس^(٨٩)، ومدينة لبدة التي تقع شرق طرابلس وعلى مرحلتين معها^(٩٠). ويضم الإقليم جبل نفوسة الذي تزيد قراه عن ثلاثمائة قرية^(٩١)، ومن أشهر مدنه مدينة شروس^(٩٢)، ومدينة جادوا المشهورة بأسواقها، وكثرة اليهود بين سكانها^(٩٣)، وفي الجبل أيضا مدينة يفرن القريبة من مدينة طرابلس، ومدينة تاغمة الواقعة شمال مدينة يفرن^(٩٤)، وتضم سفوح الجبل الشمالية والجنوبية أراضي خصبة فسيحة^(٩٥)، وفي الصحراء جنوبى إقليم طرابلس توجد مدينة غدامس الواقعة على بعد مسيرة سبعة أيام من جبل نفوسة، وذات الأهمية التجارية؛ لكونها المدخل إلى بلاد تادمكة من بلاد السودان^(٩٦). وفي المنطقة الساحلية ضم الإقليم مدينة زنزور التي تبعد عن طرابلس باثني عشر ميلا^(٩٧)، وزواوة التي تبعد عن جزيرة جربة بخمسين ميلا^(٩٨).

تتوقف الأهمية الاستراتيجية والعسكرية لطرابلس على استمرار تبعية بنى زيرى للفاطميين أو استقلالهم عن موقعها المتأخم لإفريقية، حيث دولة بنى زيرى، وبعدها عن مصر مقر الحكم الفاطمي؛ إذ تبعد الإسكندرية بمسافة ألف ومائة وخمسة عشر ميلا^(٩٩)، ناهيك عن أن معظم هذه المسافة صحراء جرداء خالية من الزرع والماء^(١٠٠)، علاوة على أنها "صعبة المسالك حزنه خشنة مخوفة"^(١٠١)؛ وهذا مما يصعب على جيش كبير اجتيازها بدون أن يصبه الجهد والإرهاق، ومن ثم يحتاج إلى مرفأ راحة بعد قطع هذه المسافة لالتقاط الانفاس والإعداد للقتال. ويضاف إلى ذلك طول خطوط الإمداد للجيش بين مصر وإفريقية، ويمكن لبنى زيرى إعاقه حركة الجيش وزيادة إجهاده، وربما القضاء عليه كلية أثناء عبوره الصحراء بتجويز آبار الماء، وشن الحرب الخاطفة بالكر والفر وإعداد الكمائن التي تجيدها القبائل البدوية بعامة وقبيلة صنهاجة بخاصة^(١٠٢). أما وجودها تحت سيطرة الفاطميين، وترك حامية فاطمية بها تمكنها من الدفاع عن المدينة حتى تصلها الإمدادات من مصر، وتكون رأس جسر للجيوش الفاطمية إذا ما وصلت إليها؛ علاوة على أنها تكون نقطة مراقبة عن كثب لتصرفات حكام بنى زيرى بإفريقية.

وأجمل بعض الدارسين أهمية طرابلس للفاطميين، بأن تكون لهم ثغر، وقاعدة تهديد لبنى زيرى الصنهاجيين؛ إذا ما حاولوا الاستقلال بإفريقية^(١٠٣). وهذا ما فعله ولاية مصر منذ الفتح الإسلامى؛ إذ حرصوا على وضع طرابلس تابعة لهم مباشرة، إلى أن انتزعها المهدي الفاطمى من ولاية مصر من قبل العباسيين؛ بسبب إهمالهم إياها، وقصورهم فى الدفاع عنها^(١٠٤).

وعلى الصعيد الاقتصادى فلا مرأى فى كون الزراعة أحد عمد الحياة الاقتصادية فى العصور الوسطى، واعتمدت الزراعة فى الأساس على خصوبة التربة ووفرة المياه. وغلب على إقليم طرابلس - بخاصة شماليه - التربة الخصبة؛ فيذكر الأصبخري أن المنطقة الواقعة حول مدينة طرابلس خصبة واسعة^(١٠٥)، ويؤكد الإدريسي جودة انتاجها بأنها "عديمة المثال فى إصابة الزرع، ولا يدرى أن على معمور الأرض مثلها فى ذلك"^(١٠٦)، وكثرت الوديان الخصبة حول المدينة؛ فكان وادى سوفجين من أخصب أراضي الإقليم حتى إن انتاجه فى عام ليعادل ما ينتجه غيره فى عامين^(١٠٧)، ويضاعف الحبة التى تزرع به بمائة حبة^(١٠٨)، كما كانت أرض وادى الأثل الواقع غرب طرابلس من أخصب الأراضي، ويعدها فى الخصوبة أراضي وادى زمزم، وإن كان الأخير يفوقه فى المساحة؛ حتى عده بعض العلماء من أكبر وديان إقليم طرابلس^(١٠٩).

مثلت الحياة الركيزة الثانية للزراعة، ولم يقف الماء عائقاً أمام الزراعة فى طرابلس مثل معظم بلاد المغرب؛ إذ كثرت الأمطار والآبار والعيون فيها، فمعلوم أن الإقليم حده من الشمال البحر الأبيض المتوسط؛ فكان شماليه غزير الأمطار؛ كثير المياه الجوفية، حتى عدها بعض الجغرافيين من خيرة المناطق الزراعية لوفرة مائها^(١١٠). انتشرت العيون والآبار كذلك فى طول الإقليم، مثل عين الرومية وعين الربطة وعين أم القرب فى جبل نفوسة^(١١١)، والعين التى احتقرها الرومان فى غدامس^(١١٢)، والأخرى التى حفرها عقبة بن نافع، وعرفت بعين "ماء الفرس"^(١١٣).

ووجدت الآبار داخل مدينة طرابلس؛ مثل بئر الشامي^(١١٤)، وبئر أبى الكنود^(١١٥)، وبئر القبة الذى بذت مياهه غيرها فى العذوبة^(١١٦). وحقق أهل طرابلس الاستفادة من هذه المياه فى الزراعة؛ فأقاموا السدود على طول الأودية؛ لحجز المياه وتخزينها وقت غزارة الأمطار، كما أفادوا من الطمى الذى تجرفه المياه فى تسميد التربة وزيادة خصوبتها^(١١٧). ولقطة المياه فى الصيف أنشأ أهل طرابلس صهاريج لحفظ المياه والإفادة منها صيفاً^(١١٨). وعمل المزارعون على نقل المياه من العيون والآبار لمناطق الزراعة، عن طريق قنوات أو أنابيب. ولاقتسام الماء بينهم بالعدل جعلوا القنوات ذات سعة واحدة، ليحصل كل منهم على قسط متساو من الماء^(١١٩). اتضح ذلك فيما فعل أهل مدينة غدامس؛ إذ اقتسموا ماء عين ماء الفرس فيما بينهم بقدر معلوم، ولا يأخذ أحد أكثر من نصيبه^(١٢٠). وسقى أهل مدينة يفرن أراضيهم عن طريق أنابيب تحمل مياهها من عين الرومية^(١٢١).

ازدهرت المحاصيل الزراعية في طرابلس بسبب خصوبة التربة ووفرة المياه، وأجمل ياقوت ذلك في قوله: إن مدينة طرابلس "كثيرة الثمار والخيرات"^(١٢٢). أما أكثر الحبوب زراعة في الإقليم فكان الشعير؛ إذ زرع في مناطق متعددة من الإقليم؛ لكونه المحصول الرئيسي للحبوب في إقليم طرابلس^(١٢٣)، وكثرت زراعته حول مدينة طرابلس في سويقة ابن مسعود وابن مكنود^(١٢٤)، وفي وادي سوفجين^(١٢٥)، وفي تاجورة الواقعة على ثلاثة أميال من طرابلس، واعتمد أهلها عليه في طعامهم^(١٢٦)، وانتشرت زراعته أيضا في جبل نفوسة^(١٢٧)، واعتمد عليه أهل المدن الكبيرة بالجبل بخاصة شروس في صناعة الخبز؛ لأنه "إذا خبز كان أطيب طعاما من خبز الحنطة"^(١٢٨).

وعلى عكس الشعير كانت زراعة القمح؛ إذ اقتصرت زراعته على منطقتين فقط من إقليم طرابلس؛ هما: وادي سوفجين^(١٢٩)، وزاوية بني يربوع^(١٣٠). ولم تعط المصادر تفسيراً لذلك، وأغلب الظن أن مرد ذلك ينوّل إلى خصوبة التربة؛ إذ سبقت الإشارة إلى أن أرض سوفجين كانت أخصب أراضي إقليم طرابلس^(١٣١).

ويعد الزيتون من أهم محاصيل إقليم طرابلس، فقد اهتم أهلها بغرس أشجاره والعناية بها^(١٣٢)، وكثرت زراعته حول مدينة طرابلس من كل الجهات^(١٣٣)، وفي مدينة زنزور^(١٣٤)، وفي جبل نفوسة^(١٣٥)، وكثفت زراعته حول مدينة مسلاته؛ إذ امتدت زراعته إلى اثني عشر ميلا حولها، وحقق أهل المدينة الثراء من إنتاجه واستخراج زيت^(١٣٦)، وقامت زراعته أيضا حول مدينة لبد، واستخرج أهلها الزيت منه^(١٣٧).

وكثرت زراعة النخيل أيضا في الإقليم؛ فلا تكاد تخلو دار داخل مدينة طرابلس من وجود نخلة^(١٣٨)، وانتشرت النخيل حول المدينة وفي المناطق القريبة منها، مثل زنزور وتاجورة^(١٣٩)، وزادت كميتها وثماره في لبد^(١٤٠)، حتى رخصت أسعاره بها رغم جودته^(١٤١). أما أجود أنواع التمر فزرعت بمدينة تاورغا^(١٤٢)، وكثرت أشجار النخيل أيضا في جبل نفوسة بخاصة منطقة سباب^(١٤٣)، وفي غدامس أيضا؛ إذ اعتمد أهلها عليه في طعامهم؛ حتى بات أكثر قوتهم منه^(١٤٤).

وزرع في إقليم طرابلس أيضا بعض أنواع الفاكهة؛ مثل التين والكروم، فقد زرع التين في مدينة طرابلس وزنزور^(١٤٥)، وفي جبل نفوسة^(١٤٦). أما الكروم فقد انتشرت زراعته في جبل نفوسة بخاصة^(١٤٧).

ومن المحاصيل الزراعية التي زرعت لأهميتها الصناعية نبات النيلة، فقد زرعه أهل منطقة سباب الواقعة بجبل نفوسة واستخدموه في الصناعة^(١٤٨).

واهتم أهل إقليم طرابلس بالرعي وتربية الماشية بخاصة الإبل لحاجتهم إليها في اجتياز الصحارى إلى بلاد السودان، وتوسعوا في تربيتها لكونها سفينة الصحراء^(١٤٩)، فانشغل أهل جبل نفوسة بتربيتها، حتى وصفهم بعض العلماء بأنهم قوم "يُنتجعون

الإبل" (١٥٠)، واشتهرت مدينة غدامس بوفرة انتاجها الحيوانى، وقاموا بدبغ جلودها التى اشتهرت باسم الجلود الغدامسية؛ لكونها "من أجود الدباغ، لا شئ فوقها فى الجودة؛ كأنها ثياب الخز فى النعومة والإشراق" (١٥١). وعمل سكان الإقليم بالرعى، ولم يقتصر على نوع معين من الحيوانات (١٥٢)؛ ونجم عن تربية الأغنام أن اشتهرت طرابلس بالصناعات الصوفية ونتاج الأكسية الفاخرة الزرق والكحل والنفوسية والسود والبيض الثمين (١٥٣)، وأفرد للصناعات الصوفية سوق خاصة بها (١٥٤)، وزاد الانتاج عن حاجة الإقليم فصدر الفائض إلى بلاد المغرب (١٥٥).

واحتل الملح مكانا عاليا بخاصة فى التجارة مع بلاد السودان، ووجد منه كميات كبيرة فى سبخة كبيرة متصلة بمدينة طرابلس (١٥٦)، وهى سبخة يفضل ملحها على غيره، ووجد بها الملح فى طبقات متراسة بلغت سبع طبقات. وصدر أهل طرابلس الملح إلى الخارج، حيث بيع بأعلى الأسعار (١٥٧).

فاقت الأهمية التجارية لإقليم طرابلس أهميته الزراعية والحيوانية والصناعية والتعدينية؛ لأن مدينة طرابلس اتخذت موقعا متوسطا فى حركة التجارة بين داخل الإقليم وبلاد السودان، وبين جزر البحر المتوسط ومدن أوروبا، كما كانت نقطة عبور للتجارة القادمة من إفريقية والمغربيين الأوسط والأقصى وبلاد الأندلس إلى مصر وبلاد المشرق الأقصى، حتى قيل إن فى ميناء طرابلس "مراكب تحط ليلا ونهارا، وترد بالتجارة على مر الأوقات والساعات صباحا ومساء من بلد الروم وأرض المغرب بضروب الامتعة والمطاعم" (١٥٨). ساعد على ذلك أن مرسى الميناء "حسن متسع، تقرب المراكب فيه من البر، وتصطف هنالك اصطفاف الجياد فى أواريه" (١٥٩).

وكانت بمدينة لبدة تجارة مزدهرة بأنواع البضائع التجارية المختلفة الواردة إليها، التى تحملها المراكب المارة من بلاد الروم وسائر بلاد المغرب (١٦٠).

وارتبطت مدينة طرابلس أيضا بداخل الإقليم وبلاد السودان؛ وبمدن إفريقية غربا وجنوبا ومصر والعالم الإسلامى شرقا بطرق تجارية مطروقة دائما أمانة عادة (١٦١). فالى الداخل وبلاد السودان هناك طريق طرابلس - جبل نفوسة زويلة (١٦٢)، وطريق طرابلس - ودان (١٦٣)، وطريق طرابلس - غدامس - ممالك بلاد السودان (١٦٤)، بذلك أمسى إقليم طرابلس معبرا تجاريا مهما مع بلاد السودان، حتى عرفت مدينة طرابلس باسم "بوابة الصحراء" (١٦٥).

أما الطريق التجارى الذى يمر بطرابلس ويربط بين مدن إفريقية وما وراءها غربا من المغربيين الأوسط والأقصى والأندلس، وبين مصر والعالم الإسلامى شرقا، فمن بلاد المغرب إلى القيروان - قابس - طرابلس - سرت - إجدابية - برقة - ذات الحمام - الإسكندرية أو ذات الحمام - ترنوط - القسقاط (١٦٦)، وتواصلت القوافل فى هذا الطريق مروراً بطرابلس ليلا ونهاراً (١٦٧).

وأدى ركب الحجاج المغاربة دورا مهما في التجارة بين غربى العالم الإسلامى ومشرقه، وكانت طرابلس مجمع الركاب الذاهبة والآتية بين المغرب والأندلس، وبين بلاد الحجاز^(١٦٨). وكان من عادة الركب إذا حل بطرابلس أن يقيم بها نحو شهر؛ ليشتري الحجاج حاجياتهم التى تكفيهم حتى يصلوا إلى مصر^(١٦٩).

وباتت طرابلس مدينة ومركزا لتجارة الرقيق من الزنوج والأوربيين معا، وصدر منها إلى المشرق الإسلامى^(١٧٠)، حتى عرفت المدينة باسم "سوق البشر"^(١٧١)، وجلب إليها الذهب والعاج والصمغ والعنبر من بلاد السودان^(١٧٢)، وصدرتها إلى صقلية وغيرها من جزر البحر المتوسط ومدن أوروبا^(١٧٣)، وصدرت ما يصلها من بلاد الجريد مثل التمر والفسق إلى مصر والأندلس^(١٧٤)، وتمتار من جبل نفوسة^(١٧٥)، وحمل الملح من طرابلس إلى بلاد السودان، وكان يعد أهم سلعة فى التبادل التجارى؛ إذ كان يبادل بالذهب، وبلغ ثمن حمل الملح فى بلاد السودان ما بين مائتين إلى ثلاثمائة دينار^(١٧٦)، وصدرت طرابلس إلى بلاد السودان أيضا الحبوب والتمور والأقمشة والمصنوعات المعدنية والجلدية والعطور^(١٧٧)، ونقل الكبريت عن طريق طرابلس من أم الغرائق المجاورة لمدينة تونس إلى مصر^(١٧٨)، وبادل التجار الأوربيون بضائعهم فى طرابلس بالرقيق وزيت الزيتون وغيرها من البضائع^(١٧٩)، واستوردت طرابلس الأخشاب الخاصة لصناعة السفن وكذلك الأسلحة من البندقية، وهذا مما أزعج الإمبراطور البيزنطى الذى حرص دوق البندقية على وقف إحدى السفن المحملة بالخشب والأسلحة قبل إقلاعها إلى طرابلس سنة ٣٦٠هـ / ٩٧١م^(١٨٠). وكان فى طرابلس دار لصناعة السفن^(١٨١)، ولها أسطول تجارى ضم عددا كبيرا من السفن^(١٨٢)، وتمرس أهلها على الأمور البحرية، وعرفوا بديرتهم على ركوب البحر^(١٨٣). وصدرت طرابلس نبات النيلة إلى المدن الإيطالية^(١٨٤)، وحصلت الإدارة فى طرابلس على كثير من الأموال من الضرائب التى فرضتها على القوافل المارة بها؛ إذ عينت عمالا لتحصيل الضرائب فى كل من مدينة صبرة ومدينة لبد، وكذلك على البضائع الداخلة إلى مدينة طرابلس والخارجة منها^(١٨٥).

وشجع ولاية الشمال الإفريقى بعامة تجار جنوب أوروبا وجزر البحر المتوسط على القدوم ببضائعهم إلى أسواق بلاد المغرب أو العبور بها^(١٨٦)، ومن ثم نشطت التجارة بين مدن جنوبى أوروبا وجزر البحر المتوسط من ناحية، وشمالى أفريقيا من ناحية أخرى، بخاصة بين طرابلس وصقلية والبندقية^(١٨٧). وأكدت وثائق الجنيزة وجود تجار إيطاليين فى طرابلس سنة ٥٣٥هـ / ١١٤٠م^(١٨٨)، وحاز أهل طرابلس سمعة طيبة فى التعامل التجارى^(١٨٩)؛ فهم أصحاب معاملة محمودة، ويهبون لمساعدة المراكب للرسو، إذا ما هبت الريح وصعب الإرساء، "بغير كلفة لأحد، ولا غرامة حبة، ولا جزاء مثقال"^(١٩٠). وعمل كثير من أهل طرابلس بالتجارة، وخرجوا بتجارهم إلى موانئ البحر الأحمر والجزيرة العربية والهند^(١٩١)، مثل يوسف اللبدى-

نسبة إلى لبدة - الذى قام برحلات تجارية إلى الهند عن طريق البحر الأحمر فى سنتى ٤٩١ و ٤٩٢هـ / ١٠٩٧ و ١٠٩٨م^(١٩٢)، وكذلك محروس بن يعقوب اللبدي الذى امتلك إحدى السفن التجارية، واستقر فى عدن^(١٩٣).

أما التجارة بين مصر وطرابلس فكانت متتابعة بدون انقطاع، حيث ذكرت الوثائق أن أربع سفن تجارية تحركت من الإسكندرية إلى طرابلس فى يوم واحد^(١٩٤)، واستقر يوسف اللبدي مدة فى الإسكندرية، حيث وصلته شحنة من المرجان لبيعها فى مصر^(١٩٥)، كما أن منتجات الشرق حملها التجار عبورا لمصر مروراً بطرابلس إلى معظم مدن الشمال الإفريقى^(١٩٦)، حيث يعاد تصدير الفائض منها من موانئ الشمال الإفريقى إلى الأندلس^(١٩٧)، وصدرت مصر الكتان إلى إفريقية - مروراً بطرابلس - بكميات كبيرة^(١٩٨).

أبانت الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية لإقليم طرابلس عن حرص كل من الفاطميين والزيريين على بسط سلطانهم عليه، ومن ثم عندما بلغ الأمير الزيرى باديس وصول يانس الصقلى، ورأى فى هذا التصرف من قبل الفاطميين اعتداء على سيادته وأراضيه، أرسل إلى يانس الصقلى يستفسر عن سبب قدومه إلى طرابلس، وإن كان بأمر من الخليفة الفاطمى؛ فعليه أن يرسل بعهد الولاية الذى منحه الخليفة الفاطمى^(١٩٩)، ولم يكن الحاكم بأمر الله أعطى سجلاً بالولاية ليانس^(٢٠٠). وأدرك باديس مراد الحاكم بأمر الله، وأن الصراع الخفى بينهما قائم، وأن هذه إحدى حلقاته، وأنه لن يسأل عن فعله من قبل الحاكم؛ إذا نجح فى إحباط المحاولة بالقوة، كما فعل العزيز بالله مع والده المنصور بعد القضاء على حركة أبى الفهم^(٢٠١).

أرسل باديس جيشاً من قبله بقيادة خيرة قادته جعفر بن حبيب، ووجهه إلى طرابلس لطرد القوة الفاطمية^(٢٠٢). ونزل الجيش فى قرية أجاس القريبة من طرابلس، ودارت المفاوضات بين القائد الزيرى ويانس الصقلى لمدة ثلاثة شهور^(٢٠٣). اغتر يانس بقوته، ولم يقدر قوة الجيش الزيرى حق قدره، فخرج إليه، ولم ينتظر قدومه إليه، وعند قرية زنزور دارت رحى المعركة التى اختار جعفر بن حبيب موقعها^(٢٠٤)، ومن ثم لم يكن التكهّن بنتيجتها أمراً ملغزاً؛ إذ حلت الهزيمة بالجيش الفاطمى، وقتل قائده يانس الصقلى فى ذى القعدة سنة ٣٩٠هـ / أكتوبر ١٠٠٠م^(٢٠٥).

تولى فتوح بن على أحد قادة يانس قيادة الفلول المنهزمة، وتراجع بهم إلى طرابلس، وتحصنوا بها، وأعدوا للدفاع عنها بمعاونة من أهلها^(٢٠٦)، وأغلّقوا أبوابها فى وجه الجيش الزيرى الذى زحف للاستيلاء على المدينة، والقضاء على فلول الجيش الفاطمى^(٢٠٧). وضرب جعفر بن حبيب الحصار حول المدينة^(٢٠٨)؛ فأرسل فتوح بن على إلى الحاكم بأمر الله يعلمه الخبر، ويطلب منه الإمداد^(٢٠٩).

انتهاز فلل بن سعيد أحد ولاة باديس الخارجين على طاعته سنوح الفرصة للاستيلاء على طرابلس؛ وزحف بقواته إليها^(٢١٠). وأبلغ عامل قابس من قبل بنى زيرى جعفر بن حبيب بتحرك فلل بن سعيد إلى طرابلس فى رجب سنة ٣٩١هـ /

مايو سنة ١٠٠٠م^(٢١١). وخشى جعفر الوقوع بين الجيش الفاطمي في طرابلس والجيش القادم بقيادة فلفل؛ فانسحب بجيشه جنوبا ونزل فلفل بجيشه في الموضع الذي تركه جيش جعفر بن حبيب^(٢١٢). وانسحب الجيش الزيري إلى قابس، فأمن فلفل بن سعيد المباغته، وتقدم صوب طرابلس، فاستقبله وفد من أهلها ومعهم القائد الفاطمي فتوح بن علي، وفتحوا له أبواب المدينة^(٢١٣). واستولى فلفل على طرابلس وإدارتها، وأراد اتخاذها مستقرا ومقاما، واستوطنها منذ أن دخلها سنة ٣٩١هـ/ ١٠٠٠م^(٢١٤)، فعمل على إعطاء حكمه للمدينة صفة المشروعية، بأن بعث بطاعته إلى الخليفة الفاطمي الحاكم، ودعا له على المنابر^(٢١٥).

وأسفر الصراع الخفي بين الفاطميين وبنو زيري على طرابلس أن خسرها الطرفان، وعمل فلفل بن سعيد على اتخاذ طرابلس مقر إمارته، واتخذ قصرا للإمارة، ودون الدواوين، ودافع عن إمارته في استماتة، وأورثها أفراد أسرته^(٢١٦). ولم يستسلم الفاطميون وبنو زيري لضياح طرابلس، وعمل كل منهما على استردادها من فلفل بن سعيد.

لم يكن الحاكم بأمر الله يعمل على استخلاص طرابلس من بني زيري الصنهاجيين ليستولى عليها فلفل بن سعيد، وإن أعطاه فلفل تبعية اسمية. لذلك لم يعين الحاكم بأمر الله فلفل بن سعيد واليا من قبله على طرابلس، وإنما أرسل جيشا لاستعادتها، واختار لقيادته يحيى بن علي الأندلسي^(٢١٧)، لوجود علاقة طيبة سابقة بين يحيى بن علي وقبيلة مغراوة التي ينتمي إليها فلفل بن سعيد، ووجود منافسة وضغائن بينه وبين بني زيري الصنهاجيين^(٢١٨).

وكتب الحاكم ليحيى بن علي سجلا بتولية طرابلس وقابس^(٢١٩)، وأطلق يده في أموال برقة أثناء مروره بها؛ ليغدق منها على جنده^(٢٢٠)، وكتب إلى بني قرّة - وهم من القبائل العربية الضاربة في إقليم برقة - بالانضمام إليه، بيد أن يحيى بن علي أصيب بخيبة أمل عند وصوله إلى برقة؛ لأنه وجد خزانته خاوية^(٢٢١). وتمرد الجند عليه لقلّة الأموال، واختلت الأحوال، ولكن ذلك لم يثنه عن التقدم صوب طرابلس؛ فبلغها في ربيع الأول سنة ٣٩٢هـ/ يناير ١٠٠٢م^(٢٢٢). وأحسن فلفل بن سعيد استقبال يحيى بن علي، ولكنه استخف به، وهان عليه أمره بسبب اضطراب عسكره وعدم طاعتهم له^(٢٢٣). وأراد فلفل بن سعيد الإفادة من يحيى بن علي ومن معه من الجند، علاوة على صفة المشروعية التي يظله بها لقومه من قبل الخليفة الفاطمي، فاتفق معه على غزو قابس^(٢٢٤)، التي يحمل سجل ولايتها من قبل الحاكم بأمر الله^(٢٢٥). واستعصت المدينة عليهما؛ فضربا الحصار حولها سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م^(٢٢٦). وأرسل باديس تعزيزات لحامية المدينة في منتصف شعبان سنة ٣٩٣هـ/ يونيو ١٠٠٣م^(٢٢٧)، وأتبعها بالجيش لتخليص المدينة من الحصار، فاضطر المحاصرون إلى العودة إلى طرابلس^(٢٢٨).

ساعت أحوال يحيى بن على بسبب قلة الأموال، وتخلّى بنو قرّة عنه، وعادوا إلى برقة^(٢٢٩)، وأساء فلفل معاملته، وأعرض عنه، ولم يقم له وزنا، واستبد بالأمر من دونه^(٢٣٠)، واستولى على معظم خيله بين شراء وغصب، فاضطر يحيى بن على إلى العودة إلى مصر^(٢٣١).

وانفرد فلفل بحكم طرابلس، وحاز قدرا من الشرعية بمعاودة جيوش الخلافة الفاطمية له^(٢٣٢). وأغلب الظن أن الحاكم بأمر الله وجد على فلفل^(٢٣٣)، بيد أنه لم يكن فى قدرته اتخاذ إجراء رادع ضده بسبب حركة أبى ركوّة التى نشبت فى برقة، وقطع الدعوة الفاطمية بها، وهزم الجيش الفاطمى، واستولى على دارة الإمارة بها^(٢٣٤)، فى رجب سنة ٣٩٥هـ/ إبريل سنة ١٠٠٥م^(٢٣٥).

عاود فلفل بن سعيد الاتصال بالحاكم بأمر الله يطلب منه الإمدادات كلما تعرض لغزو من بنى زيرى^(٢٣٦). أحجم الحاكم بأمر الله عن إمداد فلفل ومساندته؛ لأنه لم يكن يريد بقاءه فى طرابلس، وأنه أراد الإبقاء على الصراع مع بنى زيرى خفيا من وراء ستار، ومساعدته لفلفل أو انحيازه له يشجع بنى زيرى على السفور فى العداء، والخروج بالمغرب كله عن طاعة الفاطميين^(٢٣٧).

ولم يستسلم باديس لضياح طرابلس من سلطانه، فأرسل الجيوش تباعا لاستردادها. وصممت المصادر عن تفاصيل الصراع بين باديس وفلفل؛ الذى استمر حوالى تسع سنين، بدون أن يحسم أحدهما الصراع لصالحه، وإنما أجملته؛ فيذكر ابن خلدون أن الفتنة طالت بين فلفل وباديس^(٢٣٨)، ويذكر الشماخى أن الحرب بينهما استمرت طوال السنة التى كثرت بها المجاعات والزلازل بإفريقية^(٢٣٩)، وبين ابن عذارى أنها كانت سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م^(٢٤٠)، ويذكر ابن غلبون أن حروبا كثيرة وقعت بين فلفل وباديس، ومن أراد الاطلاع عليها فليراجع كتاب الرقيق^(٢٤١)، ويذكر ابن أبى دينار أن باديس كان له مع فلفل وقعات عدة^(٢٤٢)، وأن فلفل اشتدت شوكته^(٢٤٣)، وطال أمد هذا الصراع، وأحجم الخليفة الفاطمى عن مساعدة فلفل، أو منحه سجلا بولاية طرابلس، وفلفل فى حاجة إلى إمدادات تمكنه من صد هجمات باديس المتتابة، بخاصة أن باديس يملك جيشا قويا تسانده اقتصاديات إفريقية كلها.

وعندما يأس فلفل من الخليفة الفاطمى، أرسل وفدا إلى الخليفة الأموى بالأندلس فى شوال سنة ٣٩٩هـ/ مايو ١٠٠٩م، يطلب الدخول فى طاعته، وأن يضرب الدنانير والدرهم على اسمه، ويدعو له على المنابر، مقابل أن يمده ويساعده على صد بنى زيرى عن طرابلس^(٢٤٤). وأحسن الخليفة الأموى استقبال الوفد، وأغدق على رجاله، وقبل مطلب فلفل، وحمل الوفد بالهدايا إليه، ومنها بمساعدة^(٢٤٥)، بيد أنه لم يكن فى قدرته ذلك بسبب اندلاع فوضى الأندلس^(٢٤٦).

وصمد فلفل في مواجهة باديس رغم عدم وصول الإمدادات، حتى أودى المرض بحياته في سنة ٤٠٠هـ / ١٠١٠م^(٢٤٧).

وبلغت الأنباء بلاط بنى زيرى بوفاة فلفل بن سعيد، وأن أخاه ورو خلفه في حكم طرابلس، واستقامت له أمورها^(٢٤٨)، فقاد باديس جيشه بكامل قواته، وطرق طرابلس في شعبان سنة ٤٠٠هـ / مارس ١٠١٠م^(٢٤٩). وسمع ورو بقدوم باديس يجر جحافل، فترك طرابلس، وفر بمن معه، واستولى باديس على طرابلس بدون حرب^(٢٥٠)، وولى عليها محمد بن حسن، وترك معه حامية قوية.

وأراد ورو استعادة طرابلس، فتصدى له واليها الزيرى، وأنزل به هزائم متلاحقة^(٢٥١). ولم يقرر ورو على اقتحام المدينة، فحضر الحصار حولها سنة ٤٠٣هـ / ١٠٠٣م^(٢٥٢). وأغار المحاصرون على أعمال طرابلس وعاثوا فيها فسادا، حتى ضاق الحال بأهل المدينة؛ وهو مما دفع واليها إلى مكاتبة باديس ينبئ به الحال ويطلب الإمداد^(٢٥٣). وراسل أهل المدينة المحاصرين، وتواطؤا معهم، فأغضب ذلك باديس^(٢٥٤)، وجمع جيشه لتخليص طرابلس من المحاصرين. بيد أن خروج عمه حماد بن بلكين على طاعته، واستقلاله بالجزء الغربى من دولة بنى زيرى سنة ٤٠٥هـ / ١٠١٥م^(٢٥٥)، لم يمكنه من التوجه إلى طرابلس. وطال حصار المدينة، ولم يتمكن المحاصرون من اقتحامها^(٢٥٦)؛ لأنهم لم يملكوا قوة بحرية لإحكام الحصار، وإن تمكنوا من قطع الصلة بين طرابلس وعاصمة بنى زيرى^(٢٥٧). وظل محمد بن حسن والى طرابلس الزيرى يدافع عن المدينة حتى سنة ٤٠٧هـ / ١٠١٧م^(٢٥٨).

وبقى المحاصرون فى أعمال طرابلس يغيرون على المدينة، ويفسدون فى الإقليم حتى بعد وفاة باديس فى ذى الحجة سنة ٤٠٦هـ / مايو ١٠١٦م، وتولية ابنه المعز بن باديس^(٢٥٩). واستدعى المعز بن باديس واليه على طرابلس محمد بن حسن فى صفر سنة ٤٠٧هـ / يوليو سنة ١٠١٦م، وكافاه على حسن دفاعه عن مدينة طرابلس بأن ولاه إدارة الجزء الشرقى من الدولة، وأن يختار عماله على مدنها، وفوض إليه أمور الجيش^(٢٦٠). واختص محمد أخاه عبد الله بن حسن بولاية طرابلس^(٢٦١)، واستقل محمد بن حسن بالأمور وجبى الأموال، "وضاقت الدولة واتسعت أحواله، وكثرت أبنيته التى لا تصلح إلا للملوك"، وبعث بهداياه إلى الخليفة الفاطمى بمصر، حتى وصله سجل من قبل الخليفة^(٢٦٢). وأيقن المعز بن باديس بتواطؤ محمد بن حسن مع الخليفة الفاطمى، وأراد أن يسبر غوره، فطلب منه الاقتصار على خدمته، وله ما حصل عليه من الأموال والأبنية؛ فأبى محمد بن حسن إلا تماديا فى سلطانه واستمرارا، فتغير عليه المعز بن باديس وقتله فى ربيع الآخر سنة ٤١٣هـ / يوليو ١٠٢٢م^(٢٦٣).

وخشى عبد الله بن حسن على نفسه بعد مقتل أخيه، وبدأ فى ممالأة بنى خزرون المحاصرين لمدينة طرابلس والصاربيين فى أحوازها^(٢٦٤)، ثم خلع طاعة بنى زيرى، وشجع خليفة بن ورو على الاستيلاء على طرابلس انتقاماً لأخيه^(٢٦٥)، وفتك بحامية المدينة، ومن كان بها من صنهاجة^(٢٦٦). وتخلص خليفة بن ورو من عبد الله بن حسن، وانفرد بحكم طرابلس^(٢٦٧)، ورتب أمورهما، وعول على بناء أسطول؛ فأنشأ عدداً كبيراً من المراكب^(٢٦٨)، حتى أمست القوة البحرية فى طرابلس واحدة من أقوى ثلاثة مراكز تجارية للقوى البحرية فى العالم الإسلامى^(٢٦٩).

أقر خليفة بن ورو الأمور فى طرابلس، وأراد صفة المشروعية لحكمه؛ فكتب إلى الخليفة الفاطمى الظاهر للدخول فى طاعته سنة ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م، فأمن جانب الفاطميين بالدخول فى طاعتهم، وخطب ود المعز ابن باديس، وأرسل له كثيراً من الهدايا والأموال فى العام نفسه، فأمنه بمهادنته ومهاداته، ومن ثم استقرت له الأمور حتى سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م^(٢٧٠). ولم يترك الخليفة الفاطمى أمر طرابلس، كذلك كان حال بنى زيرى فلم يرتض الخليفة الفاطمى بالتبعية الاسمية، لذلك بعث أحد أبناء عمومة خليفة بن ورو وأخويه - وكانوا تربوا فى دار الخلافة الفاطمية بالقاهرة منذ صغرهم، ودانوا بالمذهب الشيعى - إلى طرابلس؛ لاستمالة أجناد خليفة بن ورو وإخراجه من المدينة^(٢٧١). ودار الصراع بين الطرفين حتى نجح صنيعة الخليفة الفاطمى - المنتصر بن خزرون - فى الاستيلاء على طرابلس فى ربيع الأول سنة ٤٣٠هـ/ ديسمبر ١٠٣٨م^(٢٧٢).

وقد أثار ذلك المعز بن باديس حاكم بنى زيرى، وانتهر فرصة النزاع بين أفراد الأسرة الحاكمة فى طرابلس، والقحط الذى حل بها آنذاك^(٢٧٣)، وخرج بجيشه لاسترداد طرابلس؛ فالحق به المنتصر بن خزرون الهزيمة. وعاد المعز بن باديس الهجوم على طرابلس؛ فمنى بالهزيمة أيضاً^(٢٧٤).

ولم يستكن المعز للغلب، وانهج خطة أخرى لإخضاع طرابلس وانتزاعها من سلطان الفاطميين وأتباعهم من بنى خزرون؛ فهاجم القلاع والحصون المحيطة بالمدينة والقريبة منها حتى أخضعها^(٢٧٥)، ثم حاول اقتحام المدينة، وعندها استعصت عليه؛ ضرب الحصار حولها حتى أذعن المنتصر بن خزرون بخلع طاعة الفاطميين، والدخول فى طاعة بنى زيرى^(٢٧٦)، واستقام على الطاعة، حتى اجتاحت القبائل العربية بلاد المغرب^(٢٧٧). وقبل قدوم القبائل العربية إلى إفريقية، انتقل الصراع بين بنى زيرى والفاطميين من الخفاء إلى العلن؛ إذ أسفر المعز بن باديس عن العداء، وخلع طاعة الفاطميين، ورد الفاطميون بإرسال القبائل العربية من بنى هلال وسليم لتجتاح أملاك بنى زيرى^(٢٧٨).

١- المقریزی، اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، القاهرة ١٩٤٨م، ص ١٤٤؛ مجهول، نسب تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى، جزء من كتاب مفاخر البربر، نشر ليفي بروفنسال، الرباط ١٩٣٤م، ص ١٣، المعز لدين الله الفاطمي يفاضل بين جعفر بن علي الأندلسي، وبلكين بن زيري ليختار أحدهما ليكون نائبه على حكم إفريقية بعد أن يتركها إلى مصر، وترك لكل منهما أن يحدد مطالبه، فقال جعفر "لا تسألني عن شيء من الأموال؛ لأن ما أجنبي يكون بإزاء ما انفقه، وإذا أردت أمرا فعلته ولم انتظر ورود الأمر فيه لبعد ما بين مصر والمغرب ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره من قبل نفسي". أما بلكين بن زيري فاققتصرت أقواله على التزلف إلى المعز، فسأل عم المعز الفاطمي، وكان حاضرا الحوار مع الاثنين، ما إذا كان يثق بقول بلكين بن زيري؛ فقال المعز: "اعلم أن الأمر الذي طلبه جعفر ابتداء هو آخر ما يصير إليه أمر يوسف (بلكين)؛ فإذا تطاولت المدة سيفرد بالامر... وهو نهاية ما يفعله من ترك دياره". المقریزی، اتعاط، ص ١٤٢-١٤٣.

٢- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٨٦م، ج ٧، ص ٤٧.

٣- المقریزی، اتعاط، ص ١٤٤، مجهول، نبذ، ص ١٣.

٤- انظر بعده.

٥- ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٤٥.

٦- إدريس، الدولة الصنهاجية، بيروت ١٩٩٢، ج ١، ص ٧٨-٧٩.

٧- النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء الرابع والعشرون، القاهرة ١٩٨٣م، ص ١٦٩، قال المعز الفاطمي لبلكين بن زيري "إني تركت لك زيادة الله بن القديم عوناً لك على جمع الأموال بإفريقية، كبره". المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

٨- ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٤٥.

٩- المقریزی، اتعاط، ص ٢٩٤.

١٠- ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ليدن ١٩٤٨م، ج ١، ص ٢٣٠. يذكر ابن عذاري في أحداث سنة ٣٦٦هـ، أن عبد الله الكاتب أخذ من أعيان القيروان من أصحاب الغنى ستمائة رجل وأغرهمهم الأموال بالتعيين... وعم الغرم سائر أعمال إفريقية؛ فجبى من القيروان وحدها ما يزيد عن أربعمئة ألف دينار عينا وبقي الأمر كذلك في الطلب، ثم أرسل هذا المال إلى العزيز بالله الفاطمي بامر من بلكين في جمادى الآخرة سنة ٣٦٧هـ، وقبل أن يطلب بلكين من العزيز ضم طرابلس إلى سلطانه؛ المصدر نفسه، والصفحة نفسها. يرى بعض الباحثين أن ذلك كان عملاً طائشاً من العزيز، وإن كان يريد من ورائه التقرب من بني زيري؛ الغناى، العلاقات بين بني زيري والفاطميين وأثارها في تاريخ ليبيا، ليبيا ١٩٦٨م، ص ٤٠.

١١- ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت ١٩٧١م، ج ٧، ص ٤١، ج ٤، ص ٥٩.

Fournl, Les Berberes. Etude Sur La Conquete de l' Afrique per les Arabs, t. 2, Paris 1881, p. 360.

- ١٢- ابن خلدون، العبر، جـ٧، ص٤١؛ سعد زغلول، فترة حاسمة من تاريخ المغرب، مجلة كلية الآداب والتربية، المجلد الأول، بنغازى ١٩٥٨م، ص ٢٤٣.
- ١٣- ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص ٧٦-٧٧.
- ١٤- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (بدون تاريخ)، جـ١، ص٩٣؛ ابن عذارى، البيان، جـ١، ص ٢٣٩.
- ١٥- ابن أبى دينار، المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس، تونس ١٣٨٧هـ، ص ٧٧.
- ١٦- النويرى، نهاية، جـ٢٤، ص ١٧٧.
- ١٧- ابن أبى دينار، المؤنس، ص ٧٧.
- ١٨- ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص ١٢١.
- ١٩- ابن أبى دينار، المؤنس، ص ٧٨؛ طلب المعز قبل رحيله إلى مصر من زعماء كتامة أن تدفع الضرائب والصدقات، ولم يكونوا يدفعون ذلك من قبل، فرفض زعماء كتامة ذلك، وعدوها جزية، فقال لهم المعز: "هكذا أريد أن تكونوا، دائما أردت أن أجريكم؛ فانظروا كيف انتم بعدى إذا سرنا عنكم إلى مصر، هل تقبلون هذا وتفعلونه وتدخلون تحتته ممن يروقه منكم، والآن سررتونى". المقرئى، اتعاظ، ص ١٤٠-١٤١؛ حسن إبراهيم حسن، المعز لدين الله، القاهرة ١٩٤٨م، ص ٦٥-٦٦، وبذلك اطمأن المعز بأن استقلالية كتامة ستكون شوكة فى جنب صنهاجة تحول دون هيمنتها على إفريقية واستقلالها بها؛ إدريس، الدولة الصنهاجية، جـ١، ص ٧٩.
- ٢٠- يرى بعض الباحثين أن سياسة الفاطميين مع بنى زيرى تقوم على إثارة الفتنة وتدبير المؤامرات من وراء ستار؛ سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، القاهرة ١٩٦٧م، ص ٢١٣.
- ٢١- انظر بعده.
- ٢٢- إدريس، الدولة الصنهاجية، جـ١، ص ٨٤.
- ٢٣- مجهول، نبذ، ص ١٣.
- ٢٤- النويرى، نهاية، جـ٢٤، ص ١٧١-١٧٢.
- ٢٥- نفسه، ص ١٧٢.
- ٢٦- إدريس، الدولة الصنهاجية، جـ١، ص ٨٤.
- ٢٧- مجهول، نبذ، ص ١٣.
- ٢٨- النويرى، نهاية، جـ٢٤، ص ١٧٢.
- ٢٩- كانت أشير مقر إقامة أمراء دولة بنى زيرى، وتقع بالمغرب الأوسط مقابل مدينة بجاية؛ ياقوت الحموى، معجم البلدان، بيروت ١٩٩٥م، جـ١، ص ٢٠٢-٢٠٣.
- ٣٠- ابن عذارى، البيان، جـ١، ص ٢٣٨.
- ٣١- النويرى، نهاية، جـ٢٤، ص ١٧٨.

- ٣٢- إدريس، الدولة الصنهاجية، ج١، ص١٠٣.
- ٣٣- النويرى، نهاية، ج٢٤، ص١٧٩.
- ٣٤- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- ٣٥- انظر قبله.
- 36- Kenneth, J. perkins, Tunisia Crossroad of Islamic and European World, U. S. A. 1984, p. 39.
- ٣٧- ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٣٨.
- ٣٨- النويرى، نهاية، ج٢٤، ص١٨٣.
- ٣٩- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- ٤٠- ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٤١.
- ٤١- ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص١٣٣.
- ٤٢- النويرى، نهاية، ج٢٤، ص١٨٢.
- ٤٣- ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص١٣٣.
- ٤٤- النويرى، نهاية، ج٢٤، ص١٨٢.
- ٤٥- المصدر نفسه، ص١٨٠.
- ٤٦- المصدر نفسه، الصفحة نفسها؛ يؤكد ذلك ما ذكره ابن خلدون أنه كانت هناك هنات لعبد الله الكاتب، ونجحت فيه سعايات؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٥٧.
- ٤٧- ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٤٢.
- ٤٨- مجهول، نبذ، ص١٣.
- ٤٩- ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٤٢.
- ٥٠- المصدر نفسه، الصفحة نفسها. فى حين يذكر ابن الأثير أن مقتل عبد الله الكاتب كان فى سنة ٣٧٦هـ؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص١٣١؛ فى حين يذكر ابن خلدون أن قتله كان فى سنة ٣٧٩هـ؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٥٧.
- ٥١- النويرى، نهاية، ج٢٤، ص١٨١.
- ٥٢- ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص١٣٣؛ النويرى، نهاية، ج٢٤، ص١٨١.
- ٥٣- ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص١٣٣.
- ٥٤- النويرى، نهاية، ج٢٤، ص١٨٢.
- ٥٥- ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص١٣٣.
- ٥٦- النويرى، نهاية، ج٢٤، ص١٨٣.

- ٥٧- يذكر النويرى أنه تتأقل فى مسيره، حتى دخلت سنة ٣٧٨هـ قبل أن يدخل ميلة؛ النويرى، نهاية، جـ٢٤، ص١٨٣؛ وهذا مما يؤكد أنه ناور حتى لا يعرف أحد وجهته.
- ٥٨- ابن عذارى، البيان، جـ١، ص٢٤٣.
- ٥٩- ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص١٣٣.
- ٦٠- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- ٦١- النويرى، نهاية، جـ٢٤، ص١٨٣.
- ٦٢- ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص١٣٣.
- ٦٣- قال الرسولان للعزیز: "أتينا من عند شياطين يأكلون بنى آدم ليسوا من البشر فى شيء"؛ النويرى، نهاية، جـ٢٤، ص١٨٤.
- ٦٤- ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص١٣٣.
- ٦٥- يذكر ابن أبى دینار أن المنصور أرسل عماله إلى بلاد كتامة بعد مقتل عبد الله الكاتب وجبوا منها الأموال؛ ابن أبى دینار، المؤنس، ص٧٨.
- ٦٦- المقرئى، اتعاظ، ص٢٩٩.
- ٦٧- ابن الأثير، الكامل، جـ٧، ص١٩٩؛ التجانى، رحلة، تونس ١٩٥٨م، ص١٨٢؛ ابن خلدون، العبر، جـ٤، ص٥٩؛ ابن تغريدى، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، القاهرة ١٩٦٣م، جـ٤، ص٢٠٧؛ الأندلسى، الحل السندسية فى الأخبار التونسية، تونس ١٢٨٧هـ، ص٢١٧-٢١٨؛ المكتبة الصقلية، نشر أمارى، ليبزج ١٨٥٧م، ص٢٠٧؛ الزاوى، تاريخ الفتح العربى فى ليبيا، القاهرة ١٩٦٣م، ص٢٠١؛ إحسان عباس، تاريخ ليبيا منذ الفتح العربى حتى مطلع القرن التاسع الهجرى، بنغازى ١٩٦٧م، ص١٨٨؛ عبد المنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر، القاهرة ١٩٦٨م، ص٢٤٩؛ الحاكم بأمر الله، الخليفة المفترى عليه، القاهرة ١٩٨٢م، ص١٥٧. ويناقض التجانى والأندلسى نفسيهما حين ذكرا ما اتفق عليه المؤرخون؛ ثم عادا فذكرا أن طرابلس لم تكن خاضعة للأمير الزيرى آنذاك وإنما للخليفة الفاطمى الذى كان يختار ولايتها ويعينهم من قبله؛ التجانى، رحلة، ص١٨٢؛ الأندلسى، الحل السندسية، ص٢١٨. وكذلك فعل المقرئى حين ناقض نفسه بذكر ما أجمع عليه المؤرخون، ثم يذكر أن تموصلة خرج من طرابلس قبل أن يصل يانس إليه، وأنه التقى يانس فى برقة، وأعطاه من الأموال الكثير، علاوة على ما وهبه لعسكر يانس ورجاله؛ المقرئى، اتعاظ، جـ٢، ص٣٤.
- ٦٨- المقرئى، اتعاظ، جـ٢، ص٣٥.
- ٦٩- إحسان عباس، تاريخ ليبيا، ص١١٨.
- ٧٠- عبد المنعم ماجد، الحاكم، ص١٥٦؛ عارف تامر، الحاكم بأمر الله، خليفة وإمام ومصلح، بيروت ١٩٨٢م، ص٤٩.
- ٧١- سعد زغلول، فترة حاسمة من تاريخ المغرب، مجلة كلية الآداب والتربية، المجلد الأول، بنغازى ١٩٥٨م، ص٢٤٣؛ سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، ص٢٢٦؛ السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، جـ٢، الإسكندرية ١٩٦٦م، ص٦٥٥؛ الغناى، العلاقات، ص٦٠-٦٤.

- ٧٢- الشيال، مجموعة الوثائق الفاطمية، المجلد الأول، القاهرة ١٩٥٨م، ص ١٣١-١٣٢.
- ٧٣- المناوى، الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى، القاهرة ١٩٧٠م، ص ١٨٨؛ عبد المنعم ماجد، الحاكم، ص ١٥٧؛ عارف تامر، الحاكم، ص ٥٠.
- ٧٤- ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ٥٧-٥٩.
- ٧٥- المقرئى، اتعاظ، ج ٢، ص ٣٤.
- ٧٦- سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٢٦.
- ٧٧- السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج ٢، ص ٦٥٥.
- ٧٨- استولى زعيم مغراوة على معظم بلاد الزاب؛ مجهول، نبذ، ص ٣٧. كما استولى على تهارت؛ ابن عذارى، البيان، ج ١، ص ٢٤٩. واستولى على تلمسان وشلف وتنس؛ ابن أبى زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط ١٩٧٣م، ص ١٠٧؛ ابن الخطيب، تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط، الدار البيضاء ١٩٦٤م، ج ٣، ص ١٦٠.
- ٧٩- ابن أبى زرع، الأنيس، ص ١٠٧؛ مجهول، نبذ، ص ٣٥.
- ٨٠- أسس هذه المدينة زبرى بن مناد سنة ٣٢٤هـ، وأمست قصبة صنهاجة منذ ذلك الحين، وظلت ذات أهمية خاصة للقبيلة، حيث سكنتها وضربت حولها معظم قبائل صنهاجة الشمال؛ ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٠٢-٢٠٣.
- ٨١- ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٠؛ ابن ابى دينار، المؤنس، ص ٧٠.
- ٨٢- المقرئى، اتعاظ، ج ٢، ص ٣٤؛ سعد زغلول، فترة حاسمة، ص ٢٤٣؛ مجموعة من أساتذة التاريخ، تراثا حتى القرن العاشر الهجرى، دار التراث، ليبيا، ج ٤، ص ١٤٨.
- ٨٣- المقرئى، اتعاظ، ج ٢، ص ٣٤.
- ٨٤- اليعقوبى، البلدان، ملحق على كتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته، ليدن ١٨٩١م، ص ٣٤٦؛ القلقشندى، صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، ج ٥، القاهرة ١٩١٤م، ص ١٠٥؛ الحميرى، الروض المعطار فى خبر الأقطار، بيروت ١٩٨٤م، ص ٦٠٨.
- ٨٥- اليعقوبى، البلدان، ص ٣٤٧؛ الزاوى، معجم البلدان الليبية، طرابلس ١٩٦٨م، ص ٣٤٨.
- ٨٦- الزاوى، معجم البلدان الليبية، ص ١٧٧.
- ٨٧- ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت ١٩٦٤م، ص ٦٩؛ الحميرى، الروض المعطار، ص ٣٨٩.
- ٨٨- الوزان، وصف أفريقيا، الرباط ١٩٨٣م، ص ١١١؛ الزاوى، معجم البلدان الليبية، ص ٢٨١-٢٩٠.
- ٨٩- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٧١.
- ٩٠- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- ٩١- البكرى، المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والغرب، الجزائر ١٨٥٧م، ص ٩.

- ٩٢- مجهول، الاستبصار فى عجائب الأمصار، الإسكندرية ١٩٥٨م، ص ١٤٤.
- ٩٣- البكرى، المغرب، ص ٩.
- ٩٤- الزاوى، معجم البلدان الليبية، ص ٣٥٩.
- ٩٥- نفسه، ص ٩٧.
- ٩٦- مجهول، الاستبصار، ص ١٤٥-١٤٦؛ الحميرى، الروض المعطار، ص ٤٢٧.
- ٩٧- الوزان، وصف أفريقيا، ص ١١٠.
- ٩٨- نفسه، ص ٩٦.
- ٩٩- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ليدن ١٨٨٩م، ص ٨٤-٨٦. فى حين يذكر ابن الفقيه المسافة بين الفسطاط والقيروان ويحددها بنحو ٢٧٤ ميلا؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ليدن ١٨٨٥م، ص ٧٨-٧٩. ويقدر الأصطخرى المسافة بين مصر والقيروان بستين مرحلة؛ الأصطخرى، المسالك والممالك، الذخائر، القاهرة مايو ٢٠٠٤م، ص ٣٧.
- ١٠٠- يذكر ابن خرداذبة أنه لا ماء فى معظم هذه المسافة إلا ماء السماء؛ ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٨٤.
- ١٠١- اليعقوبى، البلدان، ص ٣٤٢.
- ١٠٢- ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ١٢٠. عن الكر والفر والحرب الخاطفة والبراعة فى استخدام الكمين من قبل القبائل البربرية؛ عودة حسان، نزوح القبائل البربرية إلى الأندلس فى عصر الخلافة وأثرها على المجتمع الأندلسى، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب عين شمس ١٩٩٥م، ص ٣٦٩-٣٧٨.
- ١٠٣- مجموعة من أساتذة التاريخ، تراثنا، ج ٤، ص ١٤٧.
- ١٠٤- عبد المنعم ماجد، ظهور، ص ٢٤٨؛ الحاكم، ص ١٥٦.
- ١٠٥- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٣٣.
- ١٠٦- الإدريسى، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، ج ٣، نابولي ١٩٧٢م، ص ٢٩٨.
- ١٠٧- الحميرى، الروض المعطار، ص ٢٩٠.
- ١٠٨- البكرى، المغرب، ص ٩.
- ١٠٩- الزاوى، معجم البلدان الليبية، ص ٣٣٨، ٣٤٣.
- ١١٠- يسرى الجوهري، جغرافية شمال إفريقية، الإسكندرية ١٩٨٠م، ص ٣٦٣.
- ١١١- الزاوى، معجم البلدان الليبية، ص ٤٠، ٩٧، ٢٣٥.
- ١١٢- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ص ١٨٧.
- ١١٣- البكرى، المغرب، ص ١٤؛ المالكي، رياض النفوس، القاهرة ١٩٥١م، ص ٦٣.
- ١١٤- الزاوى، معجم البلدان الليبية، ص ٤٧.

- ١١٥- مجهول، الاستبصار، ص ١١٠؛ الحميرى، الروض المعطار، ص ٣٨٩.
- ١١٦- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٥.
- ١١٧- رابت، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، طرابلس ١٩٧٢م، ص ٤٧.
- ١١٨- السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج ٢، ص ٤٥٨ وما بعدها؛ الزاوى، معجم البلدان اللببية، ص ٣٧.
- ١١٩- عفيفى محمود، مظاهر الحضارة الإسلامية فى المغرب منذ انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر حتى منتصف القرن السادس الهجرى، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب القاهرة د. ت، ص ١٣٧.
- ١٢٠- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٨٧؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ج ٥، ص ١٠٨.
- ١٢١- الزاوى، معجم البلدان اللببية، ص ٢٣٤.
- ١٢٢- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٥.
- ١٢٣- يسرى الجوهرى، جغرافية، ص ٣٥٤.
- ١٢٤- الحميرى، الروض المعطار، ص ٣٢٩.
- ١٢٥- الزاوى، معجم البلدان اللببية، ص ٣٤٤.
- ١٢٦- الوزان، وصف أفريقيا، ص ١١٠.
- ١٢٧- الإدريسى، نزهة، ج ٣، ص ٢٩٧.
- ١٢٨- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٩٤-٩٥.
- ١٢٩- الزاوى، معجم البلدان اللببية، ص ٣٤٤.
- ١٣٠- الوزان، وصف أفريقيا، ص ١١٠.
- ١٣١- البكرى، المغرب، ص ٩؛ الحميرى، الروض المعطار، ص ٢٩٠.
- ١٣٢- عفيفى محمود، مظاهر الحضارة، ص ١٤٢. يؤكد هذا أن المسلمين عندما دخلوا قرطاجنة، وجدوا من الأموال الكثير، وأكثر أموال أهل المدينة الذهب والفضة، ووضعوا بين أيدي قائد المسلمين أكوام الذهب والفضة، فسألهم عن مصدرها؛ فقالوا من زيت الزيتون؛ "لأن أهل البحر والجزر ليس لهم زيت؛ فكانوا يمتارونه من هنا"؛ ابن عذارى، البيان، ج ١، ص ١٢.
- ١٣٣- الإدريسى، نزهة، ج ٣، ص ٢٩٧.
- ١٣٤- التجانى، رحلة، ص ٢١٤.
- ١٣٥- البكرى، المغرب، ص ٩.
- ١٣٦- الوزان، وصف أفريقيا، ص ١١١.
- ١٣٧- الإدريسى، نزهة، ج ٣، ص ٣٠٨.

- ١٣٨- التجاني، رحلة، ص ٢٤٦.
- ١٣٩- الوزان، وصف أفريقيا، ص ١١٠.
- ١٤٠- الإدريسي، نزهة، ج ٣، ص ٣٠٨.
- ١٤١- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٦٧.
- ١٤٢- الزاوى، معجم البلدان الليبية، ص ٧٩.
- ١٤٣- البكرى، المغرب، ص ١٠.
- ١٤٤- مجهول، الاستبصار، ص ١٤٦.
- ١٤٥- التجاني، رحلة، ص ٢٤٥-٢٤٦.
- ١٤٦- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٩٤.
- ١٤٧- المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- ١٤٨- البكرى، المغرب، ص ١٠.
- ١٤٩- الزاوى، معجم البلدان الليبية، ص ٣٢٦؛ أحمد فكرى، آثار تونس الإسلامية، تونس ١٩٤٩ م، ص ٢٦-٢٧.
- ١٥٠- الإدريسي، نزهة، ج ٣، ص ٢٩٩.
- ١٥١- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ٤، ص ١٨٧.
- ١٥٢- عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى خلال القرن السادس الهجرى، بيروت ١٩٨٣ م، ص ١٩٨.
- ١٥٣- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٦٩.
- ١٥٤- الوزان، وصف أفريقيا، ص ٩٧.
- ١٥٥- المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن ١٩٠٩ م، ص ٢٣٩.
- ١٥٦- ياقوت الحموى، معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٥.
- ١٥٧- التجاني، رحلة، ص ٢٠٦-٢٠٧.
- ١٥٨- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٦٩.
- ١٥٩- التجاني، رحلة، ص ٢٤٦.
- ١٦٠- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٧١-٧٢.
- ١٦١- يذكر المراكشى أن الطريق التجارى بين مصر وطرابلس كانت عليه حصنة متقاربة حتى كان الخبر يصل بين الإسكندرية وطرابلس عن طريق التنوير فى غضون ثلاث أو أربع ساعات؛ المراكشى، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، القاهرة ١٩٤٩ م، ص ٣٤٧-٣٤٨. وبلغت القصور بين قابس وطرابلس خمسة وعشرين قصرا، وبين طرابلس وبرقة ثمانية وثلاثين قصرا؛ عبد الهادى شعيرة، الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية، المؤتمر التاريخى، ليبيا عبر التاريخ، مارس ١٩٦٨ م، ص ٢٤٧.

١٦٢- البكري، المغرب، ص ١٠.

١٦٣- نفسه، ص ١٢.

١٦٤- نفسه، ص ٩-١١، ١٨٢؛ ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٥٨-٥٩؛ لويس، القوى البحرية في حوض البحر المتوسط، القاهرة ١٩٦٠م، ص ٢٥٥؛ لومبار، الإسلام في عظمته الأولى، بيروت ١٩٧٧م، ص ٩٤؛ أحمد إلياس، ليبيا من خلال كتابي البيهقي "التاريخ" و"البلدان"، مجلة البحوث التاريخية، يناير ١٩٧٩م، طرابلس ١٩٧٩م، ص ٥٨.

١٦٥- زاهر رياض، الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، القاهرة ١٩٦٨م، ص ٣٥.

١٦٦- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ٨٥-٨٦؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٨٤-٨٩.

١٦٧- المراكشي، المعجب، ص ٣٤٧.

١٦٨- مسعود فرهودي، الأباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرسمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب، رسالة ماجستير، آداب القاهرة ١٩٨٨م، ص ١٧٠؛ محمد المنوني، ركب الحاج المغربي، تطوان ١٩٥٣م، ص ١٦-١٨.

١٦٩- العياشي، رحلة، فاس ١٣١٦هـ، ج ١، ص ٥٦.

١٧٠- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٩٥؛ لويس، القوى البحرية، ص ٢٣٠؛ الغنای، العلاقات، ص ٧٧.

١٧١- محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، منشورات كلية الآداب، الجامعة الليبية، بنغازي ١٩٧٠م، ص ٦٧.

١٧٢- البكري، المغرب، ص ١٧٢-١٨٣.

١٧٣- لومبار، الإسلام، ص ٥٩.

١٧٤- البكري، المغرب، ص ٤٧؛ ابن سعيد، كتاب الجغرافيا، بيروت ١٩٧٠م، ص ١٢٦؛ العبادي وسالم، تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط، الإسكندرية ١٩٨١م، ج ٢، ص ١٧٧.

١٧٥- ابن سعيد، الجغرافيا، ص ١٤٥.

١٧٦- البكري، المغرب، ص ١٧٤، ١٨٣؛ مجهول، الاستبصار، ص ٢١٤؛ القلقشندي، صبح، ص ٢٩١.

١٧٧- زاهر رياض، الممالك الإسلامية، ص ٣٠٤.

١٧٨- العياشي، رحلة، ج ١، ص ١٠٣-١٠٤.

178- Bovil, E. W, The Golden Trade of the Moors, Oxford 1968, pp. 135, 140.

١٨٠- هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج ١، القاهرة ١٩٨٥م، ص ١٢٨؛ إدريس، الدولة الصنهاجية، ج ١، ص ١٦٠.

١٨١- البكري، المغرب، ص ٨٥.

١٨٢- ابن عذاري، البيان، ج ١، ص ٢٧٠.

- ١٨٣- العبادى وسالم، تاريخ البحرية الإسلامية، ج٢، ص ٧٧-٧٨.
- ١٨٤- عطارية، اليهود فى بلاد المغربين الأدنى والأوسط فى عهد بنى زيرى، رسالة دكتوراه، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٧٧. وكان نبات النيلة يزرع فى منطقة سباب بجبل نفوسة؛ البكرى، المغرب، ص ١٠.
- ١٨٥- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٦٩.
- ١٨٦- صابر محمد دياب، دراسات فى عالم البحر المتوسط فى العصور الوسطى، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، المجلد ٢٤، القاهرة ١٩٧٧م، ص ٥٧.
- ١٨٧- روس، ليبيا منذ الفتح الإسلامى حتى سنة ١٩١١م، بيروت ١٩٧٤م، ص ١٣.
- Goittein, Studies In Islamic History And Institutions, Leiden 1968, p. 310.
- ١٨٨- البكرى، المغرب، ص ٦؛ مجهول، الاستبصار، حتى ص ١١٠.
- ١٨٩- ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٧٢.
- Goittein, Studies, p. 342.
- Goittein, a Mediterranean Society of the High Middle Ages, v. 1, New York 1967, p. 708.
- Goittein, New Lights on The Bginning of Karim Merchants, v.1, Leiden 1958, pp. 166-176.
- Goittein, a Mediterranean Society, p. 212.
- Hurchberg, History of the Jews in North Africa, v. 1, Leiden 1974, p. 284.
- Ibid, p. 277.
- Goittein, a Mediterranean Society, p. 21.
- Ibid, p. 277.
- ١٩٩- ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ١٩٩؛ المكتبة الصقلية، ص ٢٧١.
- ٢٠٠- التجانى، رحلة، ص ١٨٢؛ الانصارى، المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب، ليبيا د. ت، ص ١٠٦؛ إحسان عباس، تاريخ ليبيا، ص ١١٨. والأرجح أن الحاكم لم يكتب هذا أو سجلا بولاية طرابلس لياس، حتى لا يسفر عن نيته فى عدا بنى زيرى. يؤكد هذا أن يانس لم يفصح عن سبب مجيئه الحقيقى، وإنما قال بأن الحاكم أرسله معينا ونجدة إذا احتيج إليه؛ المصادر نفسها، والصفحات نفسها.
- ٢٠١- انظر قبله.
- ٢٠٢- ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٤١. يذكر أن السبب فى إرسال باديس جيشا إلى طرابلس، أن الجند الذين تركهم تموصلة مع يانس، وهم من جند باديس، اختلفوا مع جند يانس، ونشب بينهم القتال، وأن جند يانس قد ألحقوا بهم الهزيمة، وأنزلوا بهم المهانة؛ فخرجوا إلى باديس شاكين، ومطالبين بالنصرة، فأرسل باديس الجيش؛ المقرئى، اتعاظ، ج٢، ص ٣٤.

٢٠٣- بعث جعفر بن حبيب إلى يانس يخبره بين ثلاثة: إرسال سجل الولاية، أو الذهاب إلى باديس للمساءلة والتفاوض، أو الحرب؛ فقال باديس إنه أكبر من سجل الولاية، وأعظم من القدوم على باديس، وأما الحرب "فأنا أوافيك عن الحركة، وأجبتك إلى موضعك، فأقاتلك"؛ التجاني، رحلة، ص ١٨١-١٨٢؛ حسن سليمان محمود، ليبيا بين الحاضر والماضي، القاهرة ١٩٦٢م، ص ١٤٤.

٢٠٤- قرية زنزور إحدى قرى طرابلس على الطريق بينها وبين قابس؛ العبدري، الرحلة المغربية، الرباط ١٩٦٨م، ص ٧٦. وعلى بعد ١٢ كم غرب طرابلس؛ الزاوي، معجم البلدان الليبية، ص ١٧١-١٧٢. ونزل جعفر بن حبيب في الجانب الغربي من زنزور؛ التجاني، رحلة، ص ١٨٣؛ الأندلسي، الحل السندسية، ص ٢١٨.

٢٠٥- ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٤١؛ المقرئزي، اتعاظ، ج٢، ص ٣٤. يذكر أن يانس أسر في المعركة، وطلب إرساله إلى باديس، بيد أن الجند قتلوه؛ التجاني، رحلة، ص ١٨٢-١٨٣؛ الزاوي، تاريخ، ص ٢٦٧.

٢٠٦- ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ١٩٩.

٢٠٧- التجاني، رحلة، ص ١٨٣.

٢٠٨- ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٤١.

٢٠٩- ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ٢٠٠؛ المقرئزي، اتعاظ، ج٢، ص ٣٤.

٢١٠- كان ففل بن سعيد واليا من قبل باديس على مدينة طينة وأعمالها، ولكن خرج على الطاعة سنة ٣٨٩هـ، وعاث في إفريقية فسادا وأغار على مدنها، وكان آنذاك محاصرا لمدينة قابس؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ١٤٤؛ ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٢٥٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٤٠؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص ٨٠.

٢١١- ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٢٥١؛ الانصاري، المنهل، ص ١٠٧؛ حسن سليمان، ليبيا، ص ١٤٤. يذكر أن ففل بن سعيد قدم إلى طرابلس وحارب الجيش الزيري بتحريض من الحاكم بأمر الله؛ عبد المنعم ماجد، ظهور، ص ٢٥٠؛ سرور، سياسة الفاطميين، ص ٢٢٦.

٢١٢- ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٤١.

٢١٣- ابن عذاري، البيان، ج١، ص ٢٥٢؛ النويري، نهاية، ج٢٤، ص ١٩٠؛ التجاني، رحلة، ص ١٨٣. يذكر أن أهل طرابلس سروا باستيلاء ففل بن سعيد على مدينتهم، وأن سبب ذلك راجع إلى رغبتهم في الاستقلال بذاتهم، وإبراز شخصيتهم، أو لأنه هو الذي خلصهم من ويلات الحصار؛ الغنای، العلاقات، ص ٦٧-٦٩؛

Mercier, Histoire de L'Afrique Septentrionale Depuis le Temps. Les plus Recules Jusque la Conquete Francais, v. 1. Paris 1888. p. 390.

٢١٤- ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص ٢٠٠؛ الانصاري، المنهل، ص ١٠٧.

٢١٥- ابن خلدون، العبر، ج٧، ص ٤١؛ المقرئزي، اتعاظ، ج٢، ص ٥٢.

٢١٦- سعد زغلول، فترة حاسمة، ص ٢٤٥؛ الغنای، العلاقات، ص ٦٧؛

Mercier, op. cit, p. 390.

- ٢١٧- ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٠٠؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٥٩؛ وج٧، ص٤١.
- ٢١٨- عمل جعفر بن علي أخوه يحيى فى خدمة المعز الفاطمى ببلاد المغرب، وكان جعفر من أخصاء المعز لدين الله؛ حتى إنه اختاره ليخلفه على حكم إفريقية وبلاد المغرب، لولا أن جعفر بن علي لم يحسن القول؛ المقرئى، اتعاط، ج٢، ص١٤٢-١٤٣. ودار التنافس بين الأخوين وزيرى بن مناد الصنهاجى وولده بلكين، وهو مما كان سببا فى خلعهما طاعة المعز الفاطمى، والانضمام إلى قبيلة مغراوة، وعندما طارده زيرى بن مناد كان فى ذلك مقتله، وهو مما أوتر بلكين بن زيرى وأسرته عليهما، وانتقل جعفر وأخوه يحيى إلى الأندلس، وتخلص المنصور بن أبى عامر من جعفر بالاغتيال، وهدد أخاه يحيى. خرج يحيى إلى مصر فى عهد العزيز بالله الذى أحسن استقباله وأكرمه، وظل فى القاهرة حتى أرسله الحاكم بأمر الله لأداء هذه المهمة؛ ابن الأبار، الحلة السبراء، القاهرة ١٩٦٣م، ج١، ص٣٠٦-٣٠٧.
- ٢١٩- ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٤١. يذكر ابن خلدون أن إرسال يحيى بن علي كان بسبب أن فلفل بن سعيد استغاث بالحاكم بأمر الله سنة ٣٩٢هـ، خشية رجوع طرابلس إلى المنصور بن بلكين؛ ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٥٩. ولم يكن ذلك فى عهد المنصور، وإنما كان فى عهد ولده باديس، وفى موضع آخر كانت استغاثة فلفل لأنه أراد استرجاع طرابلس من صنهاجة التى استولت عليها؛ ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٨٤.
- ٢٢٠- ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٠٠.
- ٢٢١- المقرئى، اتعاط، ج٢، ص٣٤، ٦٠.
- ٢٢٢- ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٥٦.
- ٢٢٣- ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٠٠؛ إحسان عباس، تاريخ ليبيا، ص١٢٩.
- ٢٢٤- ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٤١.
- ٢٢٥- المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- ٢٢٦- ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢١٨.
- ٢٢٧- ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٥٦.
- ٢٢٨- ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٤١؛ السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج٢، ص٦٥٥.
- ٢٢٩- المقرئى، اتعاط، ج٢، ص٣٤، ٦٠.
- ٢٣٠- ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢١٨؛ الزاوى، تاريخ، ص٢٠٥.
- ٢٣١- ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٥٦.
- ٢٣٢- سعد زغلول، فترة حاسمة، ص٢٥٤؛ الغناى، العلاقات، ص٦٧.
- ٢٣٣- يتضح ذلك مما فعله الحاكم بأمر الله مع يحيى بن علي بعد عودته فاشلا إلى مصر، فقد صب عليه الحاكم جام غضبه، وكاد يقتله؛ لأنه أسخط بنى زيرى تابعه القوى فى إفريقية، وأضاع طرابلس على الفاطميين؛ ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢١٨؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٥٦.
- ٢٣٤- ابن تغربرى، النجوم ج٤، ص٢١٦.

- ٢٣٥- ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٥٧؛ عن حركة أبي الركونة انظر: سنوسي يوسف، دور زنانية في المغرب الإسلامي منذ خروج الفاطميين حتى قيام دولة المرابطين، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب عين شمس ١٩٨٥م، ص٢٥٦-٢٥٧.
- ٢٣٦- ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٤١.
- ٢٣٧- إحسان عباس، تاريخ ليبيا، ص١٢٩.
- ٢٣٨- ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٤١.
- ٢٣٩- الشماخي، السير، د.ت، ص٣٧٥.
- ٢٤٠- ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٥٦.
- ٢٤١- تاريخ طرابلس المغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار، القاهرة ١٣٤٩هـ، ص٢٠.
- ٢٤٢- ابن أبي دينار، المؤنس، ص٨٠.
- ٢٤٣- نفسه، ص٨٠.
- ٢٤٤- ابن عذارى، البيان، ج٣، ص٧٨.
- ٢٤٥- ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٤١.
- ٢٤٦- عن هذه الفوضى التي أطلق عليها الفتنة البربرية وأسبابها، وتحديد المسئول عنها انظر: عودة حسان، نزوح القبائل البربرية إلى الأندلس، ص٣٢٩-٣٣٩.
- ٢٤٧- ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢١٨؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٥٨. عندما عاد الوفد من الأندلس إلى طرابلس كان فلفل بن سعيد قضى نحبه، واستعاد باديس مدينة طرابلس؛ فقبض عليهم وضرب أعناقهم؛ ابن عذارى، البيان، ج٣، ص٧٨.
- ٢٤٨- ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٥٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٤١.
- ٢٤٩- المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
- ٢٥٠- ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢١٨.
- ٢٥١- ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٤٨؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص٨٠.
- ٢٥٢- ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢١٨؛ الزاوي، تاريخ، ص٢٠٨.
- ٢٥٣- ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٤٢.
- ٢٥٤- عندما بلغت أخبار تواطؤ أهل طرابلس مع المحاصرين إلى باديس؛ أقسم أن يجعل عالي المدينة سافلها ويسوى بالأرض بنيانها، "والأ يرحل عنها حتى يعيدها فدنا للزراعة"؛ ابن خلكان، وفيات، ج١، ص٦٦.
- ٢٥٥- ابن الأثير، الكامل، ج٧، ص٢٧٦-٢٧٧؛ ابن عذارى، البيان، ج١، ص٢٦١-٢٦٢؛ وعن خروج حماد بن بلكين على طاعة باديس والحرب بينهما ونتائج ذلك انظر: عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، بيروت ١٩٨٠م، ص٥٤-٧١؛ عودة حسان أبو شيخة، صراع الأسرة الحاكمة في دولة بني زيري بإفريقية وأثره على المغرب والأندلس، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، يناير ٢٠٠١م، ص٢٨-٣٦.

٢٥٦- الزاوى، تاريخ، ص ٢٠٩.

٢٥٧- سعد زغلول، فترة حاسمة، ص ٢٤٨-٢٤٩؛

Mercier, op. cit, t. 1, p. 394.

٢٥٨- النويرى، نهاية، ج ٢٤، ص ٢٠٤.

٢٥٩- ابن خلكان، وفيات، ج ١، ص ٢٦٥.

٢٦٠- النويرى، نهاية، ج ٢٤، ص ٢٠٤، ٢٠٧؛ الانصارى، المنهل، ص ١١١.

٢٦١- ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٢.

٢٦٢- النويرى، نهاية، ج ٢٤، ص ٢٠٧.

٢٦٣- ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٣١٢.

٢٦٤- سعد زغلول، فترة حاسمة، ص ٢٥٢.

٢٦٥- ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٣.

٢٦٦- ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص ٣١٢.

٢٦٧- ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤١؛ الزاوى، تاريخ، ص ٢١١.

٢٦٨- ابن عذارى، البيان، ج ١، ص ٢٧٠.

٢٦٩- السائح، الحضارة العربية المغربية عبر التاريخ، الدار البيضاء ١٩٧٥م، ج ١، ص ١٣٣.

٢٧٠- ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٣.

٢٧١- نفسه، العبر، ج ٦، ص ١٧٣.

٢٧٢- التجانى، رحلة، ص ٢٦٧.

٢٧٣- الشماخى، السير، ص ٤٠٠؛

Lewicki, Melanges Berberes Ibadites, Revue des Etudes Islamique, 3 (1936). p. 278.

٢٧٤- ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٣.

٢٧٥- الشماخى، السير، ص ٤٠٠.

٢٧٦- ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ٤٣.

٢٧٧- عن الغزوة الهلالية لبلاد المغرب انظر: طاهر راغب، دور القبائل العربية بالمغرب العربى منذ المسيرة الهلالية حتى نهاية حكم الموحدين، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٩٧٩م، ص ٤١-٧١.

٢٧٨- عن أسباب الغزوة انظر: ابن الأثير، الكامل، ج ٨، ص ٥٥-٥٦؛ راغب، دور القبائل العربية، ص ٩١، وما بعدها.

ثبت المصادر والمراجع:

أولاً- المصادر

- ١- ابن الأثير (أبو عبد الله محمد بن عبد الله أبو بكر القضاعي، ت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م): الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة ١٩٦٣م.
- ٢- ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م): الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٨٦م.
- ٣- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن إدريس الحمودي الحسني، ت ٥٥٨هـ / ١١٦٣م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج٣، نابولي ١٩٧٢م.
- ٤- الأصبطخري (إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي، ت ٣٣٩هـ / ٩٥٠م)، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسني، القاهرة مايو ٢٠٠٤م.
- ٥- الأندلسي (محمد بن محمد الأندلسي الوزير السراج، ت ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م): الحل السندسية في الأخبار التونسية، تونس ١٢٨٧هـ.
- ٦- الانصاري (أحمد بن حسين، ت في القرن التاسع عشر الميلادي): المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، الطبعة الثانية، ليبيا د. ت.
- ٧- التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد، ت في أوائل القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي): رحلة، تقديم: حسن حسني عبد الوهاب، تونس ١٩٥٨م.
- ٨- ابن تغريدي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف، ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة ١٩٦٣م.
- ٩- الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت ١٩٨٤م.
- ١٠- ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي، ت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي): صورة الأرض، بيروت ١٩٦٤م.
- ١١- ابن خردادبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن عبد الله، ت في حوالي سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م): المسالك والممالك، تحقيق: دى غويه، لينن ١٨٨٩م.
- ١٢- ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م): أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، الجزء الثالث، تحقيق: أحمد مختار العبادي، محمد بن إبراهيم الكتاني، ونشر بعنوان: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، الدار البيضاء ١٩٦٤م.
- ١٣- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، بيروت ١٩٧١م.
- ١٤- ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد، ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بدون تاريخ.

١٥- ابن أبى دينار (أبو عبد الله محمد بن القاسم، ت فى أواخر القرن الحادى عشر الهجرى/ السابع عشر الميلادى): المؤنس فى أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق: محمد شمام، تونس ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

١٦- ابن أبى زرع (أبو الحسن على بن عبد الله، ت فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى): الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط ١٩٧٣م.

١٧- ابن سعيد (أبو الحسن على بن موسى، ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م): كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربى، بيروت ١٩٧٠م.

١٨- الشماخى (أحمد بن سعيد بن عبد الواحد، ت ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م): السير، د.ت.

١٩- العبدري (أبو عبد الله محمد بن محمد بن مسعود، ت فى أواخر القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى): الرحلة المغربية، تحقيق: محمد الفاسى، الرباط ١٩٦٨م.

٢٠- ابن عذارى (أبو العباس أحمد بن محمد، ت فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى): البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الأول: تحقيق: ليفى بروفنسال وكولان، ليدن ١٩٤٨م، والجزء الثانى: تحقيق ليفى بروفنسال، باريس ١٩٣٠م.

٢١- العياشى (ت ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م): رحلة، فاس ١٣١٦هـ.

٢٢- ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد، ت فى أواخر القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى): مختصر كتاب البلدان، تحقيق: دى غويه، ليدن ١٨٨٥م.

٢٣- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن على بن أحمد، ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، ج٥، القاهرة ١٩١٤م.

٢٤- المالكى (أبو بكر عبد الله بن عبد الله، ت فى نهاية القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى): رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية، الجزء الأول، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة ١٩٥١م.

٢٥- مجهول (ت فى القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى): الاستبصار فى عجائب الأمصار، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، الإسكندرية ١٩٥٨م.

٢٦- مجهول (ت فى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى)، نبذ تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى، جزء من كتاب مفاخر البربر، نشر ليفى بروفنسال، الرباط ١٩٣٤م.

٢٧- مجموعة الوثائق الفاطمية، المجلد الأول، جمع وتحقيق ونشر: جمال الدين الشبال، القاهرة ١٩٥٨م.

٢٨- المراكشى (عبد الواحد بن على التميمي، ت فى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى): المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان، محمد الغربى العلمى، القاهرة ١٩٤٩م.

٢٩- المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، ت ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م): أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن ١٩٠٩م.

٣٠- المقرئى (تقى الدين أحمد بن على، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م): اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشبال، القاهرة ١٩٤٨م.

- ٣١- المكتبة الصقلية، نشر أمارى، لبيزج ١٨٥٧م.
- ٣٢- النويرى (شهاب الدين أحمد، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م): نهاية الأرب فى فنون الأدب، الجزء الرابع والعشرون، تحقيق: حسين نصار، القاهرة ١٩٨٣م.
- ٣٣- الوزان (الحسن بن محمد، ت ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م): وصف أفريقيا، الرباط ١٩٨٣م.
- ٣٤- ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م): معجم البلدان، بيروت ١٩٩٥م.
- ٣٥- اليعقوبى (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح، ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م): البلدان، ملحق على كتاب الأعلام النفيسة لابن رسته، لندن ١٨٩١م.

ثانياً- المراجع العربية والمعرية

- ١- إحسان عباس: تاريخ ليبيا منذ الفتح العربى حتى مطلع القرن التاسع الهجرى، بنغازى ١٩٦٧م.
- ٢- إدريس (الهادى روجر): الدولة الصنهاجية، بيروت ١٩٩٢م.
- ٣- أحمد فكرى: آثار تونس الإسلامية ومصادر الفن الإسلامى، تونس ١٩٤٩م.
- ٤- تراثنا حتى القرن العاشر الهجرى: الجزء الرابع، مجموعة من أساتذة التاريخ فى العالم العربى، دار التراث، ليبيا.
- ٥- حسن إبراهيم حسن: المعز لدين الله، القاهرة ١٩٤٨م.
- ٦- حسن سليمان محمود: ليبيا بين الحاضر والماضى، القاهرة ١٩٦٢م.
- ٧- رايت (جون): تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، طرابلس ١٩٧٢م.
- ٨- روس (إيتورى): ليبيا منذ الفتح الإسلامى حتى سنة ١٩١١م، بيروت ١٩٧٤م.
- ٩- زاهر رياض: الممالك الإسلامية فى غرب أفريقيا وأثرها فى تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، القاهرة ١٩٦٨م.
- ١٠- الزاوى (الطاهر أحمد): تاريخ الفتح العربى فى ليبيا، القاهرة ١٩٦٣م. ومعجم البلدان الليبية، طرابلس ١٩٦٨م.
- ١١- السائح (حسن): الحضارة العربية المغربية عبر التاريخ، الدار البيضاء ١٩٧٥م.
- ١٢- السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج٢، الإسكندرية ١٩٦٦م.
- ١٣- سرور (محمد جمال الدين): سياسة الفاطميين الخارجية، القاهرة ١٩٦٧م.
- ١٤- عبد الحليم عويس: دولة بنى حماد، بيروت ١٩٨٠م.

- ١٥- عارف تامر: الحاكم بأمر الله، خليفة وإمام ومصلح، بيروت ١٩٨٢م.
- ١٦- العبادى (أحمد مختار) والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر المتوسط، الإسكندرية ١٩٨١م.
- ١٧- عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله، الخليفة المفترى عليه، القاهرة ١٩٨٢م. وظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر، القاهرة ١٩٦٨م.
- ١٨- عز الدين أحمد موسى: النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى خلال القرن السادس الهجرى، بيروت ١٩٨٣م.
- ١٩- الغناى (مراجع عقلية): العلاقات بين بنى زيرى والفاطميين وآثارها فى تاريخ ليبيا، ليبيا ١٩٦٨م.
- ٢٠- لويس (أرشيبالد): القوى البحرية فى حوض البحر المتوسط، القاهرة ١٩٦٠م.
- ٢١- لومبار (لويس): الإسلام فى عظمته الأولى، بيروت ١٩٧٧م.
- ٢٢- محمود ناجى: تاريخ طرابلس الغرب، منشورات كلية الآداب، الجامعة الليبية، بنغازى ١٩٧٠م.
- ٢٣- هايد: تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى، ج١، القاهرة ١٩٨٥م.
- ٢٤- يسرى الجوهري: جغرافية شمال إفريقية، الإسكندرية ١٩٨٠م.

ثالثاً- الرسائل الجامعية غير المنشورة

- ١- سنوسى يوسف: دور زنانة فى المغرب الإسلامى منذ خروج الفاطميين حتى قيام دولة المرابطين، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب عين شمس ١٩٨٥م.
- ٢- طاهر راغب: دور القبائل العربية بالمغرب العربى منذ المسيرة الهلالية حتى نهاية حكم الموحيدين، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ١٩٧٩م.
- ٣- عطارية: اليهود فى بلاد المغربين الأدنى والأوسط فى عهد بنى زيرى، رسالة دكتوراه، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة ٢٠٠٣م.
- ٤- عفيفى محمود: مظاهر الحضارة الإسلامية فى المغرب منذ انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر حتى منتصف القرن السادس الهجرى، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب القاهرة د.ت.
- ٥- عودة حسان: نزوح القبائل البربرية إلى الأندلس فى عصر الخلافة وأثرها على المجتمع الأندلسى، رسالة دكتوراه غير منشورة، آداب عين شمس ١٩٩٥م.
- ٦- مسعود فرهودى: الأباضية فى المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرسمية إلى هجرة بنى هلال إلى بلاد المغرب، رسالة ماجستير، آداب القاهرة ١٩٨٨م.

- 1- Bovil, E. W
The Golden Trade of the Moors, Oxford 1968.
- 2- Fournel, H.
Les Berberes. Etude sur La Conquete del, Afique. par
Les Arabes, Paris, 1881.
- 3- Goittein:
A Mediterranean Society of the High Middle Ages, v. 1,
New York 1967.
New Lights on The Bigninning of Karim Merchants v.1,
Leiden 1958.
Studies In Islamic History And Institutions, Leiden 1968.
- 4- Hurchberg,
History of the Jews in North Africa, v. 1, Leiden 1974.
- 5- Kenneth, J. perkins
Tunisia Crossroad of Islamic and European World. U.
S. A. 1984.
- 6- Lewicki, T
Melanges Berberes Ibadites, Revue Des Etudes
Islamique, 3 (1936).
- 7- Mercier, E
Histoire del, Afrique Septentrionale Depus Les Temps.
Les Plus Recules Jusque La Conquete Franscais. v.1,
Paris 1888.

خامساً - الدوريات العربية

- ١- أحمد إلياس حسين: ليبيا من خلال كتابي البعقوبي "التاريخ" و"البلدان"، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، يناير ١٩٧٩م، طرابلس - ليبيا ١٩٧٩م.
- ٢- سعد زغلول: فترة حاسمة من تاريخ المغرب، مجلة كلية الآداب والتربية، المجلد الأول، بنغازي ١٩٥٨م.
- ٣- صابر محمد دياب: دراسات في عالم البحر المتوسط في العصور الوسطى، مجلة الجمعية التاريخية المصرية، المجلد ٢٤، القاهرة ١٩٧٧م.
- ٤- عبد الهادي شعيرة: الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية، المؤتمر التاريخي، ليبيا عبر التاريخ، مارس ١٩٦٨م.
- ٥- عودة حسان أبو شيخة: صراع الأسرة الحاكمة في دولة بني زيري بإفريقية وأثره على المغرب والأندلس، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، يناير ٢٠٠١م.
- ٦- محمد المنوني: ركب الحاج المغربي، تطوان ١٩٥٣م.